مُحَمَّد سَعِيد الرَّيْحَانِي

وَرَاءَ كُلِّ عَظِيمٍ أَقْزَام

مجموعة قصصية

مُحَمَّد سَعِيد الرَّيْحَانِي

وَرَاءَ كُلِّ عَظِيمٍ أَقْزَامٌ

(مجموعة قصصية)

موقع رَيْحَانِيَاتٌ

عنوان الكتاب: "وراء كل عظيم أقزام"
نوع الكتاب: مجموعة قصصية
الكاتب: محمد سعيد الريحاني
الطبعة: الأولى، 2012
رقم الإيداع: 2012 MO 0485
الترقيم الدولي: 9954-30-768-7
لوحة الغلاف: محمد سعيد الريحاني
مطبعة: طوب بريس، الرباط/المغرب

مُدُنُ الأقزام

"الاستبداد يضطر الناس إلى استباحة الكذب والتحايل والخداع والنفاق والتذلل وإلى مراغمة الحس وإماتة النفس ونبذ الجد وترك العمل..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 107

<u>ألفا سنة قبل الميلاد، وصول خبر اكتشاف النار:</u>

"**أشرعة السلام والخير**"، هكذا سماها أجدادهم وهكذا يسمونها الآن، هم أيضا، حين تطالعهم صدورها الخشبية وهي تشق عباب البحر خارجة من حلقة الشمس المشرعة في الأفق الأزرق ومُبحرة في اتجاههم حيث وقف أجدادهم وأجداد أجدادهم ينتظرون ما تجود به حمولة "**أشرعة السلام والخير**" مما جادت به بركة السماء لمقايضتها بما جادت به بركة الأرض:

- ما هذا؟!...
- الأسلحة البرونزية والأواني الزجاجية...
- كيف صنعتم هذا؟!...
- بالنار.
- وكيف تشعلون النار؟!...
- يضرب حجر على حجر.
- هل للنار فوائد أخرى غير صناعة البرونز والزجاج؟!..
- نعم. هي تفيد أيضا في الشواء والإنارة والتدفئة والدفاع عن النفس...

انتعش أبناء البلد بالسلع الجديدة وفكروا في رفع قيمة المكافأة هذه المرة فأعطوا الوافدين ما تيسر من نساء وغلمان لكن التجار **الفنيقيين** فضلوا مقايضة السلع بالسلع وليس بالإنسان فامتثل أبناء البلد كي لا يفقدوا، تحت نشوة الفرح، صديقا يختصر

لهم المسافات فقايضوا البرونز بالفول والباذنجان والزجاج بالبرتقال والعدس وأغدقوا عليهم بالشكر على أمل وصول سلع أخرى لا تقل روعة في المرة القادمة.

ألف سنة قبل الميلاد، الدفعة الثانية من السلع: الكتابة

- ها هي طلبيتكم: **الكتابة**.
- وما هي الكتابة؟!...
- الكتابة هي تدوين كل ما تفكرون فيه أو تقولونه أو تريدونه أو تحلمون به...
- وما الجدوى من الكتابة؟!...
- إنها تقرب البعيد، وتخبر الغائب أو تخبر عنه، وتخلد العابر والفاني، وتحفظ الأفعال والاقوال والعواطف والخواطر من النسيان...
- وكيف نكتب؟!...
- تُحْفَظُ الرموزُ أولا ثم تُدَوّنُ مُرَتَّبَةً حسب المراد والقصد في الذهن. وحين يطلع عليها الناس، فإنهم يقرؤونها تماما كما قصدتموها أو يجتهدون في ذلك فيفهمون أفضل حتى مما قصدتم...
- رائع! وماذا تسمونها؟!...
- سنكون أسعد إذا سميتموها نسبة إلينا وتداولتم الاسم في ما بينكم...

ألف سنة بعد الميلاد، الدفعة الثالثة من السلع: الدين

- هل أنتم وثنيون؟
- ما معنى "**وثنيون**"؟
- أتعبدون الصخر والحجر والبقر والنار والحطب؟!...
- تلك آلهتنا...
- تلك سلع. مجرد سلع. أما "**الله**"، فواحد أحد صمد لم يلد ولم يولد...
- هل هناك دين آخر غير ديننا؟!
- نعم. "**دين الفطرة**"...
- نورونا، إذن!...

ألفا سنة بعد الميلاد، الدفعة الرابعة من السلع: العجلة

- ألا زلتم تحملون السلع والمدافع والناس على الدواب؟ ألم تعرفوا العجلة بعد؟!...
- العجلة من الشيطان!...
- ليس المقصود "**العجلة في قضاء الحاجة**" بل العجلة كوسيلة لتسهيل النقل والتنقل...
- ولماذا العجلة؟!...
- العجلة لتوفير الاعتماد على الدواب، وتسريع السير والخدمات التجارية، ومضاعفة حجم البضائع المنقولة...
- إذن، آتنا بالعجلة!...

سنين ضوئية بعد الميلاد، الدفعة الأخيرة من السلع: الحداثة

- الازلتم تركعون لمن هو أكبر منكم وتكررون ما ورثتم؟!...
- هذا ما فتحنا عليه أعيننا...

- ولكن يجب أن تتغيروا!...
- نحن قوم نخشى الفتنة...
- تقبلوا اختلافاتكم أولا وستتغيرون بعد ذلك...
- وكيف نتقبل اختلافاتنا؟!...
- ثمة فلسفة تعينكم على ذلك.
- وما هي؟!...
- "**الحداثة**".
- هاتها!...
- ولكن "**الحداثة**" تحتاج إلى مجهود: ضروري من النار والدم والتضحية بالغالي والنفيس...
- (مقاطعين) لا. هات طريقا آخر أسهل وأهون!...
- أو بالتوافق مع كل الأطراف.
- (مقاطعين) هذا أفضل!...
- هلا صاحبتني لإدخال "**الحداثة**" إلى مجتمعاتكم؟...
- (مقاطعين) لا. نحن لا نبرح مكاننا. كل الهبات تأتينا حتى مكاننا، هنا. اذهبوا أنتم، إنا ها هنا قاعدون.
- ألا تبذلون جهدا!...
- نحن أذكياء وديننا هو "**اقتصاد الجهد**". نوفر الجهد ولكننا لا نتجاهل المبتكرات. نقتني كل ما يفيد لكن دون قطرة عرق أو دم. لذلك، تروننا نتطور لكن دون تقديم ضحايا أو قرابين...
- ولكن التطور يتطلب العرق والدم والضحايا والقرابين!...
- هذا خطأ. أنظر إلى حالتنا وستغير رأيك لكن، رجاء، دَوّنْ ملاحظاتك على دفتر الزوار من العابرين كما هو متعارف عليه في متاحف الكون كله...

<u>ملاحظات الزوار من العابرين:</u>
- أوه، كم أنتم صغار في أحجامكم! لا بد أن طلباتكم صغيرة في مستوى أحجامكم!...
- الأمية عندكم مرجعية. من يكتب لكم أسماء حوانيتكم ومقاهيكم وشوارعكم وساحاتكم؟!...
- المعابد عندكم دائما فارغة، ما هو اليوم المقدس عندكم؟ يبدو أنه لا دين لكم!...
- ألديكم وسائل نقل وأنتم تستخدمون الرجال لحمل السلع والشيوخ والموتى والإثقال؟!...
- هل أنتم حداثيون؟ إنكم تقولون مالا تفعلون، وتفكرون فيما لا تريدون!...
- أنتِم قوم مستهلكون تعيشون على عرق غيركم. ولذلك، كان عقابكم دائما: "**الحياة على هامش التاريخ**". إن التاريخ، كالبحر، لا يقبل الموتى. ولذلك، فهو، على مدار الساعة، يقضي وقته يلقي بالجثث والجيف إلى الصخور والشواطئ المنسية مع الطحالب والنفايات والأزبال...

سنة 2003

من "غرنيكا" إلى "غزة"

I

روعة عالم من أكواخ
من ليل ومن حقول

II

وجوه صالحة للحرق وجوه صالحة للرَّمْي
للرفض للظلام للإهانة للضرب

III

وجوه صالحة لكل شيء
ها هو الفراغ يحاصركم
لكن موتكم سيبقى مثلا أعلى للجميع

IV

الموت قلب مقلوب

V

دفعتُمْ ثَمَنَ خُبْز
وسماء وأرض وماء ونوم
وبؤس
حياتكم

VII

أصروا وأفرطوا فتبرأت منهم الإنسانية

XII

أيها الرجال لمَنْ وُهبَ هذا الكنز
أيها الرجال بأي حق أُتْلفَ هذا الكنز

XIII

أيها الرجال الحقيقيون يا مَنْ يُغَذي اليَأسُ
نيرانَ الأمَل في صُدورهم
لتُفْتَحْ سَويَّة آخر البراعم الغدوية

الشاعر الفرنسي **بول إيلوار** (**Paul Eluard**)، 1938
عن ديوانه " **Cours naturel** "

فتح "**القزم**" علبة الثقاب ليَعُمَّ الهواء أرجاءها الداخلية وينير الضياء جنباتها المعتمة، فاستيقظ بقية "**الأقزام**" داخل العلبة وهرولوا نحوه لمساعدته على أزمة جلية يحاول جاهدا الاحتفاظ بها لنفسه.

وقف "**القزم**" عرقانا في لباس نومه والشعر النافر في كل جسمه يهتز على إيقاع نبضات قلب خائف ومجنون يسمعها كل من تحلق حوله من "**أقزام**" علبة الثقاب قبل أن يستسلم "**القزم**"، أخيرا، تحت إلحاح اللكز، ويروي لبقية "**الأقزام**" ما رآه في منامه:

- لقد حلمت نفسي فرعونا عظيما بلحية ذهبية جالسا على عرش ذهبي محاطا بكبار الرهبان والمنجمين وهم يفتون في أمر رؤيتي ويجمعون على ضرورة قتل كل أطفال الأرض من مواليد هذه السنة...

استبشرت الحاشية خيرا ورأت في المنام "**رؤيا**" وأن القزم الرائي سيصبح "**عظيما**" لا محالة وأنه اختير من السماء وأن "**أرض الميعاد**" هي أرض تحقيق الرؤيا وتحققها لكن القزم صاح في وجوههم غاضبا:

- أين العظمة فيما رأيت؟ أنا حلمت بقتل الأطفال وزجر الثكالى وسفك الدماء!...

فرد جميع "**الأقزام**" بصوت واحد:

- هذه هي العظمة وهذا هو الطريق المؤدي إليها وهذا هو النهج الذي سلكه الفرعون العظيم بنفسه!...

عمت الفرحة والهياج كل أرجاء علبة الثقاب التي كانت غرفة نوم الأقزام لكن أحد حكمائهم طالبهم بالتروي والتحلي بالرزانة وربط الرؤيا بالعمل على تحقيقها على الأرض فقاطعه "**القزم**" الذي حلم الليلة الماضية ب"**العظمة**" وبدا هذه الصبيحة مَهْوُوساً بها:

- وكيف السبيل لذلك؟!..

رد "**هَامَانْ القزم**":

- لا يتطلب الأمر أكثر من إرادة تحقيق الرؤيا.

فقاطعه "**القزم**" الحالم بالعظمة:

- ولكننا "**أقزام**" وهم شعب "**الجبارين**"؟!

فأجاب "**هامان القزم**":

- إن الصورة التي يعطيها المرء لغيره هي ذاتها الصورة التي يتبناه الآخر ولو كانت عكس مصالحه وضد وجوده. فلماذا لا نقلب الصورة ونتصرف، نحن، ك"**جبابرة**" ونعاملهم، هم، ك"**أقزام**"؟!

كَرَّرَ "**القزم**" الحالم بالعَظَمَة سُؤاله:

- ولكننا "**أقزام**" وهم "**جبارين**"؟!

فكرر "**هامان القزم**" جوابه:

- لا يتطلب الأمر أكثر من إرادة تحقيق الرؤيا.

قال "**القزم**" الحالم بالعظمة، جازما:

- الإرادة متوفرة...

أضاف "**هامان القزم**":
- بعد الإرادة، يمكن الحديث عن التخطيط لإنجاز الإرادة وتحقيقها على الأرض.

فقاطعه "**القزم**" الحالم بالعظمة، متلهفا:
- خططوا للأمر، إذن، وَنَوِّرُوني!..

التحق باقي "**الأقزام**" بدائرة الاقتراحات وألقوا بعصيهم فإذا بها أفاع تسعى:
- حمام الدّم!...
- الضرب بيد من حديد!...
- النار، الحرق، التطهير!...
- الدم، القتل، الإبادة!...

صرخ "**القزم**" الحالم بالعظمة:
- وكيف لقزم مثلي أن يحقق كل هذا؟!

عم صمت مطبق أرجاء علبة الثقاب. وأثناء تفكير الجميع في حل للمعضلة، تقدم قزم ممن لم تتح له فرصة الإدلاء برأيه من قبل ووضع حقيبة على الأرض ونفض عنها الغبار بيديه ثم فتحها وأخرج محتوياتها وعرضها أمام عيني "**القزم**" الحالم بالعظمة قبل أن يقول ببرودة دم:
- هده أدواتك، ولن تحتاج إلى غيرها.

تعجب "**القزم**" الحالم بالعظمة وقال:
- هذه أقنعة صالحة للتمثيل المسرحي على خشبة المسرح أمام جمهور مسرح ولا شأن لها بما نحن بصدد تداوله!...

رد "**المُهَرّج القزم**"، واثقا من نفسه دائما:
- المسرح لا حدود له، والخشبة لا حدود لها، والجمهور لا حدود له، والتمثيل لا حدود له، ومن أتقن دوره نَجَّحَ مُهمته حيثما وُجدَتْ وَكَيْفَمَا كانت.

لازم "**القزم**" الحالم بالعظمة العجب:
- ولكن هذه الأقنعة صالحة للتهريج والإضحاك!...

أجابه "**المُهَرّج القزم**":
- مَعِي، أنا المهرج، هذه الأقنعة تصلح للتهريج والإضحاك؛ لكن، مَعَكَ، أنت العظيم المختار من السماء، ستَصلُحُ هده الأقنعة لتحقيق الأهداف بنفس الدقة التي ترسمها بها في ذهنك. فبمجرد وضع هده الأقنعة على وجهك، ستحل روح صاحب القناع في جسدك وستملأ بركته فراغاتك وتنير قوته طريقك وستنجح في كل ما سترسمه أمام عينيك. إن

هذه الطريقة ساري المفعول بها في كواليس تدبير الأمور العليا في كل أرجاء المعمور ولذلك يقال، بين الفينة والأخرى، "**التاريخ يعيد نفسه**"!

صَمَتَ "**المُهَرّج القزم**" هُنَيْهَةً ليُراقب ملامح "**القزم**" الحالم بالعظمة في انتظار انفراجها ثم أضاف:

- ضع قناعا من هذه الأقنعة على وجهك إتباعا حسب تشابه الظرفية التي ستجد نفسك فيها والظرفية التي كان فيها "**العظيم**" صاحب الصورة المرسومة على القناع، تبركا بقوة الأباطرة والملوك والزعماء والقواد وصانعي التاريخ. إن التبرك بهؤلاء "**العظماء**" سَيُجَنِّبُكَ، لا محالة، العثرات والزّلات والمشاكل والأزمات والانكسارات والهزائم النكراء التي يمكن أن تتورط فيها...

ثم بدأ "**المُهَرّج القزم**" يُسَمي أقنعته ويضعها واحدةً واحدةً بين يدي "**القزم**" الحالم بالعظمة:

- هذا قناع **رعمسيس الثاني**، وهذا قناع **تشي هوانغ تي**، أما هذا فقناع **نابوليون**، وهذا **لهتلر**، وهذا **لفرانكو**، وهذا **للحجاج**، وهذا **لنيرون**، وهذا **لكاليغولا**، وهذا **لبوكاسا**، وهذا **لهولاكو...**

فهلل "**القزم**" الحالم بالعظمة، وصاح مُهْتاجاً:

- هاتوا الأقنعة وأعيدوني إلى حلمي! أعيدوني إلى رؤيتي! أعيدوني إلى نبوتي!..

قناع الفرعون رعمسيس الثاني:

هل كان حلما أم كابوسا أم رؤيا؟
إنه يشبه حلم ملك **يهودا** تماما حين قصد قتل صبي واحد فقتل كل الصبيان!
هل يمكن لطفل من الأقليات أن يهدد عرشي؟
سآخذ برأيكم، أيها الكهنة، وسآمر بقتل كل المواليد الجدد لهده السنة مع الإتيان بمهودهم مخضبة بالدماء كي أتأكد من الأمر وأقارن العدد المقتول من الأطفال بين يدي بالعدد المقتول من الأطفال في حلمي والذي لن أفصح لكم به إلى غاية تأكدي من إخلاصكم في تنفيذ أوامري ووفائكم لعرشي...

صوت محمود درويش في مواجهة قناع الفرعون رعمسيس الثاني:

"سأختار شعبي
سأختار أفراد شعبي
سأختاركم واحدا واحدا من سلالة
أمي ومن مذهبي،
سأختاركم كي تكونوا جديرين بي
إذن أوقفوا الآن تصفيقكم كي تكونوا
جديرين بي وبحبي
سأختار شعبي سياجا لمملكتي ورصيفا لدربي
قفوا، أيها الناس، يا أيها المنتقون
كما تنتقى اللؤلؤة

لكل فتى إمرأة
وللزوج طفلان: في البدء يأتي الصبي
وتأتي الصبية من بعد، لا ثالث،
وليعم الغرام على سنتي
فأحبوا النساء، ولا تضربوهن إن مسهن
الحرام
سلام عليكم.. سلام .. سلام"

قناع تشي هوانغ تي:

أنا الإمبراطور الأول **تشي هوانغ تي** ولا أحد قبلي: لا إمبراطور ولا نبي ولا حكيم، لا **اللاو تسو** ولا **كونفوشيوس** ولا **بوذا**. أنا **الأكبر** وأنا **الأوحد**، أنا **الأول** وأنا **الآخر...**

ولعل تشكيكم في قولي نابع من كتب الترهات والأباطيل التي تحتفظون بها والتي أنتم مطالبون بإحضارها اليوم مساء للحرق والإتلاف. وسأصدر بعد ساعة مرسوما في الموضوع. ولكنكم لن تنتظروا صدور المرسوم لتأتوني بالكتب لأحرقها بيدي. أما من عصى أمري، فستأتونني به حيا يرزق لأكويه بالنار وأسوقه بيدي لإفناء بقية حياته في بناء السور العظيم الذي سيبدأ من **الصين** لينتهي في **فلسطين**.

صوت محمود درويش في مواجهة قناع تشي هوانغ تي:

"أيها المارون بين الكلمات العابرة
آن أن تنصرفوا
وتقيموا أينما شئتم ولكن لا تقيموا بيننا
آن أن تنصرفوا
ولتموتوا أينما شئتم ولكن لا تموتوا بيننا
فلنا في أرضنا ما نعمل
ولنا الماضي هنا
ولنا صوت الحياة الأول
ولنا الحاضر،والحاضر ، والمستقبل
ولنا الدنيا هنا...و الآخرة
فاخرجوا من أرضنا
من برنا ..من بحرنا
من قمحنا ..من ملحنا ..من جرحنا
من كل شيء،واخرجوا
من مفردات الذاكرة
أيها المارون بين الكلمات العابرة..!"

قناع كاليغولا:

أريد ألعابا نارية!
لنقل **"ألعابا أكثر من نارية"!**

ولكنني لست بحاجة لحضور جميل يحتفل معي بألعابي!
أنا أفضل أن احتفل بألعابي وحدي وأن ألقي بألعابي على من اريد وأن تحرق ألعابي أهدافي!
فما رأيكم في الأطفال كأهداف لألعابي النارية!
هل من معارض؟
إذن، فلتكن ألعابي النارية مصنعة من مواد كيماوية أو من الفوسفور الأبيض أو من اليورانيوم المنضب أو **النابالم** الحارق...
المهم، ألا تقل درجة حرارتها عن التسعمائة درجة منوية وأن تكون الذخيرة كافية لاثنين وعشرين يوما من الاحتفال!
هيا، ماذا تنتظرون؟
إليَّ بألعابي!

صوت محمود درويش في مواجهة قناع كاليغولا:

"خسائرُنا: من شهيدين حتى ثمانيةٍ كُلَّ يوم.
وعَشْرَةُ جرحى.
وعشرون بيتاً.
وخمسون زيتونة...
بالإضافة للخَلَل البُنْيويّ الذي
سيصيب القصيدة والمسرحيّة واللوحة الناقصة"

قناع نيرون:

أيها الشعراء، لا شك آن قصائدي ألهمتكم فأبدعتم على خلفية إبداعاتي!
ولا شك أنكم جربتم لحظة الإلهام ولحظة غير الإلهام ووصل بكم الاستعداد أحيانا لحرق زيجاتكم وأطفالكم لقاء نَظْم قصيدة!
أيها الشعراء، لست سيد الحرق. بل الحرق هو سيدي!
هذه هي الحقيقة وأنتم، الآن، أدرى الناس بها!
الشعر قدري والغناء قدري والحرق قدري وأنا أكثر الناس طاعة لأقدارهم وأكثرهم إعطاء للمثل في ذلك فلتمتثلوا لأقداركم أيضا ولتتقبلوا ألسنة النار في سقوف بيوتكم ولتكبحوا هلع صغاركم ولتلجموا عويل نسائكم؛ فهذه إرادة التاريخ، والتاريخ لا ينصت لآلام الأصوات الصغيرة وآمالها!

صوت محمود درويش في مواجهة قناع نيرون:

يا دامي العينين والكفين!
إن الليل زائلْ
لا غرفة التوقيف باقية
ولا زَرَدُ السلاسلْ!
نيرون مات، ولم تمت روما...
بعينيها تقاتلْ!

وحبوبُ سنبلةٍ تموت
ستملأ الوادي سنابلْ... !

قناع هولاكو خان:

"من ملك الملوك شرقًا وغربًا القائد الأعظم: باسمك اللهم، باسط الأرض ورافع السماء، يعلم (...) من (...) هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك (...) إنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على مَن حَلَّ به غضبه، فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم وأسلموا لنا أمركم. قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ، فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرقّ لمن شكر، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد، فعليكم بالهرب، وعلينا الطلب، فأي أرض تؤويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم؟! فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالحصون عندنا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُسمع (...) فأبشروا بالمذلة والهوان، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم، فإن أنتم لشرطنا وأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم، فقد حذّر من أنذر. وقد ثبت عندكم أنا نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلّطنا عليكم من له الأمور المقدّرة، والأحكام المدبرة، فكبيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزًا، ولا كافيًا ولا حرزًا، وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم، والسلام علينا وعليكم، وعلى من أطاع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى".

صوت محمود درويش في مواجهة قناع هولاكو خان:

"أيُّها الواقفون على العَتَبات ادخُلوا،
واشربوا معنا القهوةَ العربيّة
فقد تشعرون بأنكمُ بَشَرٌ مثلنا.
أيها الواقفون على عتبات البيوت!
أخرجوا من صباحاتنا،
نطمئنَّ إلى أننا
بَشَرٌ مثلكُمْ!"

قناع الحجاج بن يوسف الثقفي:

أيها الجنود، أراكم تتعففون من التدمير الذي قطعتم كل هذه الأميال الطويلة لتنفيذه!

ألا زلتم تؤمنون بالمواثيق الدولية وحماية المدنيين والحفاظ على أرواح الأعيان الثقافية واحترام الأماكن المقدسة؟!...

أيها الجنود، هذه تعليماتي الأخيرة لكم: اقتلوا كل من يحول دون تحقيق أهدافكم بما في ذلك الأعيان الثقافية ودمروا كل شيء يعترض سبيلكم بما في ذلك المساجد. وتذكروا جيدا قصتي مع **عبد الله بن الزبير** الذي حاول الاحتماء بالكعبة المكرمة للهروب من قبضتي. فهل كان له ذلك؟

كَلاَّ، وَأَلفَ كَلاَّ.

لقد اعتقد بأنني سأحترم بُنَاة الكعبة من ملائكة السماء وآدم أبي البشر وإبراهيم أبي الأنبياء...

أعتقد أنكم تعرفون تتمة القصة: لقد هدمت، بالمنجنيق، الكَعْبَة التي كان يُسَلِّم بوقوفها في وجهي وأخرجته مُكْرَهاً ذليلاً صاغرا وعلقته من عنقه عبرة لغيره من العاقين. فإذا كنت أنا فعلت هذا مع كبير المتمردين، فكيف تعجزون، وأنتم مدججين بأفتك الأسْلحة وَأَحْدَثِهَا، أمام "**أطفال**"؟

أيها الجنود، اهدموا كل شيء ولو كانت من بين المباني "**الكَعْبَة**"!

صوت محمود درويش في مواجهة قناع الحجاج بن يوسف الثقفي:

"سيمتدُّ هذا الحصار إلى أن يُحِسَّ المحاصِرُ، مثل المُحَاصَرِ،
أن الضَجَرْ
صِفَة من صفات البشرْ"

قناع فرانسيسكو فرانكو:

كم تمنيت حذف حرف "**الغين**" من القواميس!
أكره حرف "**الغين**" من "**غرنيكا**" إلى "**غزة**"**!**
أكره الأقليات!
أكره الثوار!
أكره المقاومين!...

صوت محمود درويش في مواجهة قناع فرانكو:

"عازف الجيتار في الليل يجوب الطرقات
و يغني في الخفاء
و بأشعارك يا لوركا يلم الصدقات
من عيون البؤساء
العيون السود في إسبانيا تنظر شزرا
و حديث الحب أبكم
يحفر الشاعر في كفيه قبرا
إن تكلم
نسي النسيان أن يمشي على ضوء دمك
فاكتست بالدم أزهار القمر

أنبل الأسياف حرف من فمك
عن أناشيد الغجر
آخر الأخبار من مدريد أن الجرح قال
شبع الصابر صبرا
أعدموا غوليان في الليل و زهر البرتقال
لم يزل ينشر عطرا
أجمل الأخبار من مدريد
ما يأتي غدا".

قناع أدولف هتلر:

"**غرنيكا**" غابة مثل كل الغابات. ثلاث ساعات تكفيها لقتل ألفي خنزير من خنازيرها كما تفعلون دائما مع باقي الخنازير في باقي الغابات وفي "**غزة**" لن نقبل بأقل من هذا العدد. ونفس الشيء بالنسبة للممتلكات، ألفان منْ كُلِّ مَا رُصَّ منْ حَجَر: ألفا منزل وألفا دكان وألفا صيدلية وألفا كشْك وألفا مَحْلَبَة وألفا مَلْبَنَة وألفا مخْبَزَة وألفا مصْبَنَة وألفا معْصَرَة وألفا مَدْرسة وألفا مَسْجد وألفا مُسْتَوْصَف وألفا سيارة إسْعَاف وألفا مَقْهَى وألفا مَلْعَب وألفا حَمَّام عُمُومي...

"**غرنيكا**" تطلبت منا ثلاث ساعات من القصف المكثف لإحراقها بالكامل أما "**غزة**" فستتطلب من اثنين وعشرين يوما بالتمام والكمال لأن مهمتنا هناك أصعب. في "**غرنيكا**"، كنا نحرق البشر والبهائم والشجر والحجر. لذلك، لم يتطلب منا الأمر وقتا طويلا. أما في "**غزة**"، فالتدقيق في الضحايا واختيار الأطفال أكثر من سواهم عملية تحتاج إلى وقت لأننا سنحاسب أمام المحاكم الدولية على قتل غير الأطفال...

صوت محمود درويش في مواجهة قناع هتلر:

"أما الآن فالأحوال هادئة تماماً مثلما كانت
والموت يأتينا بكل سلاحه الجوي والبري والبحري
مليون انفجار في المدينة
هيروشيما هيروشيما
وحدنا نصغي إلى رعد الحجارة
وحدنا نصغي لما في الروح من عبثٍ ومن جدوى".

قناع جون بيديل بوكاسا:

هذا لا يحتاج إلى مشورة الإمبراطور فأنتم أعلم باختياراتي: اقتلوا الأطفال. وإذا ما نفذت الذخيرة وتعبتم من القتل، أتوني بما تبقى منهم أحياء لآكلهم. فليس ثمة وجبة أشهى من لحم الأطفال مذهونا بتوابل الهند الزكية ومشويا على نار هادئة ومُمَلَّحاً ومُحَمَّضاً بالليمون وَمُزَيَّناً بالفواكه المجففة!

أوف، إنني أموت تلهفا لطبق اليوم فلو كانت معدتي تتسع لكل الأطفال من مواليد هذه السنة لطلبتهم أحياء ولاستغنيت عن النار والرصاص. فلا شيء أطرى وألذ

من اللحم الفتي: لحم الحملان ولحم العجول ولحم صغار اليمام وصغار الحجل وصغار الزرافات وصغار الحمير الوحشية...

صوت محمود درويش في مواجهة قناع جون بيديزبوكاسا:

"وكأنني قد متّ قبل الآن
أعرف هذه الرؤيا ، وأعرف أنني
أمضي إلي ما لستُ أعرف . ربّما
ما زلت حيّا في مكانٍ ما، وأعرف
ما أريد
سأصير يوما ما أريد.

سأصير يوما فكرة . لا سيْف يحملها
إلي الأرض اليبابِ ، ولا كتاب"
كأنّها مطر علي جبلٍ تصدّع من
تفتّح عشبةٍ ،
لا القوّة انتصرتْ
ولا العدْل الشريد
سأصير يوما ما أريد."

تجريب قسري لأحد الأقنعة على وجه أحد أقارب الضحايا:

إذا كانت المقاومة تؤذي شعبنا وتلحق به الضرر فنحن ضد الدفاع عن النفس وضد تصعيد الخسائر وضد رفع التحدي. إننا نقولها بصوت عال قبل فوات الأوان وانقراضنا من الوجود: نحن مع الانبطاح والخضوع والاستسلام حتى مرور العاصفة وسنقوم بعرقلة خطط المتهورين الذين يدفعوننا إلى مواجهة غير متكافئة ستؤدي بنا حتما إلى التهلكة.

صوت محمود درويش في مواجهة مُجرّبي الأقنعة من الأهالي:

"عربٌ أطاعوا رومهم
عربٌ وباعوا روحهم
عرب وضاعوا"

قناع نابليون بونبارت:

الآن وقد تبين بالمكشوف أن الأمور مرت بالسرية اللازمة وأن أهاليكم لم يكونوا على علم بتواطئكم معنا لتحقيق الأهداف التي ما كنا لنحققها لوحدنا ما دامت الأقنعة السحرية كانت تتطلب مشاركة الجميع في التمثيل؛ الآن وقد انتهت الحرب التي سماها أهاليكم "**عدوانا**" ووضعت أوزارها، ها هي المكافأة المالية الضخمة التي وعدتكم بها لقاءَ تعاونكم معنا ضد وطنكم وأهاليكم. خذوها ولا تقتربوا مني لمُصَافحَتي فيَدي لا تُلامسُ أيَاد خَانَتْ أوْطَانَهَا.

صوت محمود درويش يُسقط الأقنعة جميعها:

"سقط القناع عن القناع عن القناع
سقط القناع
لا إخوةَ لك يا أخي، لا أصدقاءُ يا صديقي، لا قلاع
لا الماء عندكَ ، لا الدواء ولا السماء ولا الدماءُ ولا الشراع
ولا الأمام ولا الوراء".

أمام المحاكم الدولية، مرافعة ضد التهم بارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية:

بالنسبة لاتهامنا بارتكاب جرائم حرب ضد مدنيين عزل باستخدام مفرط للقوة ضدهم واستعمالهم دروعا بشرية للاحتماء من رجالات المقاومة واستخدام أسلحة محرمة دوليا وقتل الأطفال والنساء والمسنين والمعاقين والمسعفين والصحفيين... فإننا نقدم اعتذارنا الكبير عن كل خطأ في إصابة أهدافنا والذي قد يكون ذهب ضحيته غير الأطفال. إن هدفنا الوحيد كان هو إبادة مواليد هذه السنة من الأطفال فقط. وإذا كان من بين الضحايا نساء فربما لأنهن أمهات أطفال أو لأن الأطفال كانوا في حجورهن مما أدى بطيارينا إلى قصفهم معا وهو ما لا يمكننا تحمل تبعاته بعدما وزعنا المناشير بالابتعاد عن الأطفال...

وبالرغم من كل ذلك، فإننا على استعداد لتعويض أسر المسنات تعويضا ماليا ينسيهم فقيداتهم. أما باقي النساء فعليهن أن يعلمن بأننا سنعود بنفس العنف اللامحدود وبنفس البطش الفتاك إذا ما حملن من جديد هذه السنة ووضعن من جديد قبل دخول السنة الموالية...

مع كل "غرنيكا"، ينبعث بيكاسو ليرسم الدمار من جديد:

رؤوس أطفال مقطوعة،
أيادي نساء مخضبة بالحناء والدماء،
أشلاء بشرية ،
حُمرة دماء على بقايا جدران، بياضُ مخَاخ آدمية على الأرض...
ركام حديد وإسمنت،
هياكل سيارات محروقة،
أنين أصوات بشرية تحت الأنقاض،
دخان في كل مكان،
أزيز طائرات تحجب الشمس،
وحيرة الجراحين إزاء جروح طفيفة على جلد الضحايا تولد نزيفا داخليا يؤدي إلى الموت...

صوت مايكل هارت يغني "لن نستسلم"، على أمواج إذاعة غزة ثوان قبل قصفها:

"لن نستسلم

في غزة هده الليلة..."

صوت مايكل هارت يغني "لن نستسلم"، على أمواج إذاعة خارج غزة عشية قبل تعقبها وقصفها:

"لن نستسلم
هذه الليلة دون قتال
يمكنكم حرق مساجدنا ومنازلنا ومدارسنا
لكن روحنا لا يمكنكم الوصول إليها..."

صوت مايكل هارت يغني "لن نستسلم" في أمان على أمواج إذاعة كونية تبث إرسالها من كوكب بلوتو، آخر كواكب المجموعة الشمسية :

"لن نستسلم
هذه الليلة دون قتال
يمكنكم حرق مساجدنا ومنازلنا ومدارسنا
لكن روحنا لا يمكنكم الوصول إليها
لن نستسلم
في غزة هده الليلة

النساء والأطفال سواء
يُذْبَحُونَ وَيُذَبَّحُونَ ليلة بعد ليلة
فيما أدعياء الزعامات يتجادلون في البعيد
عن المخطئ والمُصيب..."

بتاريخ: 25 يناير 2009

بَطْنِسْتَانْ

"الاستبداد لو كان رجلا وأراد الانتساب لقال: أنا الشر وأبي الظلم وأمي الإساءة، وأخي الغدر وأختي المسكنة، وعمي الضر وخالي الذل، وابني الفقر وبنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة ووطني الخراب، أما ديني وشرفي وحياتي فالمال المال المال..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 69

قال الأول:
- عندما تنتبه إلى كونك لم تعد بحاجة إلى حزام لسروالك، فاعلم آنئذ بأن البدانة قد أصابتك وأن السمنة قد بدأتك من الوسط، فانظر حينئذ ما أنت فاعل...

وقال الثاني:
- عندما تنحني لِرَبْطِ خيوط حذائك فتواجه صعوبة جديدة في الوصول إلى أقدامك، فتلك علامة حداثة عهدك بالبدانة. لقد صرت عندئذ «بدينا" وَحَلَّ على المقربين من أقاربك تلقيبَك "**بطينا**"...

وقال الثالث:
- عندما تلاحظ سقوط قطرات المرق على الأرض في حالة الأكل وقوفا أو على فخديك إن كنت تأكل جلوسا فاطمئن آنئذ لشكلك: **إن شكلك رياضي وأنيق**. أما حين تسقط كل قطرات المرق على بطنك، فاعلم آنئذ أن مستوى بطنك صار أكبر من مستوى صدرك، وأنك صرت "**بطريقا**"...

سألت أحد المارة عن سبب اهتمام أهالي هذه المنطقة بشكلي وسبب احتفالهم بالبطون فقال:
- هنا، في عموم بلاد "**بَطْنِسْتَانْ**"، البطن الناتئة هي رمز المال والجاه والعظمة والاستقرار وعُلوّ الشأن ودلالة الحسب والنسب... ألا ترى أن علية القوم كلهم "**بطينين**" بينما النساء والعمال يتساوون في النحافة؟ هذه هي السمة العامة لأعيان "**بَطْنِسْتَانْ**" كما هي لمدينة "**بطريقْ أبَادْ**"، كما يسميها أهلها، أو "**مِنطقة البطْريق**"، كما يُسَميهَا السُوَّاحُ. فلا تقلق من الأمر، إنه فال خير وشكل من أشكال الأمنيات المقبولة.

كان الرجل يهم بالانصراف عندما سألته ثانية:

- ما قصة هذا المكان؟
- هنا، كان البحر قبل أن يتراجع إلى حيث لا يظهر له، من هنا، أثر...

كون البلادِ "**بَطِنِسْتَانْ**" بعاصمة تسمى "**بطريقْ أبَادْ**" دلالة قوية على أن البحر الذي كان هنا **هُوَ** بحر "**آرال**". لذلك، سألته:
- هل هذه هي المنطقة المحيطة ببحر "**آرال**" الذي كان يزخر بالأسماك ومشاريع الصيد قبل أن ينسحب ويترك الناس في عطالة ومشاريعهم في إفلاس؟
- أبدا. هذه المنطقة كانت تعج بطيور البطريق التي هاجرت إلى حيث لا أحد يدري...

احترت في الأمر وغيرت البوصلة وعدت لأسأل:
- إذن، هذا هو القطب المتجمد الذي، تحت "**الاحتباس الحراري**"، تهاوت جباله الجليدية في البحار وبدأت ثرواته الحيوانية تتعرض للهجرة والانقراض؟
- لا، لسْتَ الآن لا في بحر "**آرال**" ولا في القطب المتجمد. هذه منطقة لا تعرف لا البحر ولا الثلج ولا الكثير من روائع الطبيعة. الناس هنا بالكاد يستنشقون الهواء.

ووجدت نفسي، وأنا أطفو على الشارع كَبَالونِ في لباس آدمي، أتساءل: "**كيف جِئْتُ إلى هنا؟**"

حتى ذاكرتي أضحت ضعيفة.
حتى ذاكرتي أضحت غير نشطة.

حتى ذاكرتي أضحت ميتة.

لا أتذكر لا اسمي ولا عنواني ولا طفولتي ولا أهلي ولا أصدقائي ولا أي شيء. ولدي إحساس غامض بأنني لم أكن في يوم من الأيام بدينا ولا كنت من سلالة بدينة ولا كانت البدانة أمنية أو حتى ثقافة في حياتي...

كنت أمرر يدي على بطني طول المدة التي كان فيها الرجل قبالتي يتكلم ويطيل الكلام عن البطون والبطنَةِ و"**البطينين**". وقد كان إحساسا غريبا أن اكتشف نمو حجم بطني مع طول التركيز على حديث الرجل عن البطون فقد كان حجم بطني يزداد كبرا دون الحاجة إلى موائد أو ولائم. كان بطني ينتفخ بإصرار. لذلك، بدأت تراودني فكرة القفز إلى الأعلى والتحليق فوق الجميع عندما تخيلت نفسي بالونا آدميا يطفو على الشارع ويرتطم بسيل المارة. حاولت القفز إلى الأعلى لكن بطني وحدها كانت تستجيب للقفز بينما كانت أقدامي تلتحم بالأرض التي تتحمل ثقلي بصبر الأمَّهَاتِ.

بهذه البطن المتزايدة الانتفاخ، صَعُبَ علي رؤية قدمي تحتي دونما بذل قصارى الجهد في مَدِّهِمَا إلى الأمام. لذلك، بدأت تمارين مجنونة أمام الملإ كي أتمكن من رؤية قدمي: أمد الأولى ثم الثانية، أرفع الأولى ثم الثانية...

وبينما اعتقدت أن الناس ستتساقط على الأرض اتْبَاعاً من فرط الضحك عند انتباهها إلى سلوكي المجنون أو إلى شكلي "**البطين**"، وجدت الناس في الشارع الرئيس يعاملونني بشكل مختلف. فالموظفون يَنْحَنُونَ أمامي تقديرا وينزَعُون قُبعاتهم احتراما، والنساء بعيونهن الواسعة يصوبن إليَّ الغمزة بَعْدَ الغمزة وَمِنْ تحت الخِمَار يَوشوشن قرب أذني الغنج تِلْوَ الغنج، بينما باقي البدينين من البالونات البشرية الأخرى يُحَيُّونَنِي من بعيد دُونَ سابق معرفة أو اتصال فـ"**البالونات على أشكالها تقع**"...

أحد النادلين من ذوي المهارات في التعامل مع "**البَالُونَاتِ**" حَوَّلَ لِي اتجاهي بلمسة يدوية وُدية فوجدت نفسي في البداية بين عامة زُبَنَائِه في الطابق السفلي أتلقى زَخَاتِ العِطْرِ من المِرَشَّاتِ والقُبُلاتِ الناعمة من شفاه الجواري، لأجد نفسي بعد ذلك فوق "**هَوْدَج**"، مثل بطْرِيقٍ كسيح، يحمله غلمانٌ يتقدمون بي صعودا إلى الطابق الثاني حيث تتلوى داخل مكعبات زجاجية حُورُ العَيْنِ بدَلَع مُبالغ فيه لِيُبْرِزْنَ الأرقام على آذانهن وخواصرهن وصدورهن ويستفردن بالاهتمام ويفُزن بالمكافآت السخية...

سألت الغِلمَان تحت "**هَوْدَجِي**" وهم يحاولون إنزالي على فراش أثير بين وسائد حريرية على السَّطِيحَة المُطِلة مباشرة على الشارع الرئيس عن هوية النساء داخل الأقفاص الزجاجية فقال الغِلْمَانُ قوْلَ غُلام واحد:

- هُنَّ لكَ، أيُّها "**العَظِيم**". وهناك المزيد من رفيع الأشكال والأحجام والأذواق في هذا "**الدليل**" على المائدة!

تصفحت "**دَلِيلَ النِّسْوَان**" الموثق بالصور العارية والمعطيات الحَمِيمِيَة عن كل بورتريه وَقُلتُ لِلغِلمَان:

- وإذا ما تطلعت إلى نساء أرفع مما يَتَضَمَّنُهُ هذا "**الدليل**"؟

قال الغِلمَانُ قوْلَ غُلام واحد:

- اختر ما شئت من النساء من بين المارة تَحْتَكَ في الشارع الرئيس، أيها "**العظيم**"، وستجدهن في رَمْشَةِ عين بين يديك في مكعب زجاجي!

أنزل الغلمان "**الهَوْدَج**" على الأرض ثم حملوني بعناية فائقة إلى الفراش الأثير وأحاطوني بالوسائد الحريرية. اقترب مني الغلمان وتأكدت أنهم كانوا أربعة. ولأنهم كانوا ينادونني بـ"**العظيم**" وينحنون أمامي طول الوقت فقد صار لزاما علي أن يكون كلامي معهم أوامر تليق بـ"**العظماء**". ولذلك، أمرت الغلام الأول:

- أنْتَ، أيُّهَا الغُلام. اذهب واحضر لي سَبْعاً من كل لون: سبع صبيات وسبع متزوجات وسبعة مخنثين وسبعة غِلمَان...

وللغُلامِ الثاني كانت صِيغة أمْرٍ ثانية:

- وأنْتَ، أيُّهَا الغُلام. احضر لي ما لذَّ وطاب من مشروبات ومأكولات الزَّوال ولا تنْسَ أن تسرع بإحضار الخمر المعتق أولا وأن تُوقِفَ تشغيل المذياع حتى لا يعكر صفوي أخبارَ الشؤم والهموم...

وللغلام الثالث:

- أما أنْتَ، أيُّهَا الغُلام. فاحْضِرْ لِي حَرَساً يَحْمِينِي منَ الخلْفِ، مِنْ طَعَنَاتِ الحَاقدِين وَالغَادِرين.

وللغلام الرابع:

- أما مُهمتك أنْتَ، أيُّهَا الغُلام، فالإسراع بإحضار "**عراف**" يحل لي مَشْكِلَتي ويُجيبَ عن أسئلتي. فانا لا أعرف لا من أنا ولا لماذا أنا هنا ولا أعرف حتى ما أريده...

حَضَرَ "**العرَّافُ**" قبْلَ النساء وقبل الخمر و قبْلَ الطعام و قبْلَ الحَرَس و قبْلَ حتى إيقاف تشغيل المذياع. وقد بدا لي حكيماً هندياً داكن البشرة حافي القدمين عاري الصدر وقد لفَّ باقي جسمه في رداء صوفي يدوي الصُّنْع فحياني بيدين مضمومتين إلى صدره ثم جلس قبالتي ليُشْعِلَ النارَ في موقده الصغير ويرشَّ عليه البخور ويلّقني بدُخانه المتصاعِد وهو يهمهم ويغمغم ويوشوش كلاماً مُبْهَماً قبل أن يخاطبني وقد علا وجهه الخبر اليقين:

"هو إما موت أو حلم. إما أنك الآن مَيِّتٌ، وطبقا لمنطق التناسخ، فقد حلَّتْ رُوحُكَ للعقاب في جسد ثان هو هذا الجَسَدُ البَدِينُ الذي أنت غارقٌ فيه؛ وإما أنك الآن نائم غارقٌ في حُلْمٍ بالتعويض عن واقع حياة بائسة مُوغِلَةٍ في الشقاء والعذاب والإقصاء".

فاتح يناير 2009

أرض الانقلابات

"قد يبلغ فعل الاستبداد بالأمة أن يُحَوِّلَ مَيْلَهَا الطبيعي من طلب الترقي إلى طلب التسفل بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور، وإذا ألزمت بالحرية تشقى وربما تفنى كالبهائم على امتصاص دم الأمة فلا ينفك عنها حتى تموت ويموت هو بموتها..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار الشرق العربي، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 117

<u>الخبر الأول في الأسبوع الأول، على أمواج الإذاعة:</u>

كل القنوات التلفزية والإذاعية، الأرضية والفضائية، تنقل نفس الخبر على مدار الساعة كخبر أول وأخير في نشرة الأخبار حيث يلقي يطالع المشاهد والمستمع والقارئ على السواء "**أب الأحرار**" وهو يلقي خطابا مرتجلا:

- "**هنيئا لكم أيها الأحرار. بشرى لكم، أيها الثوار بهذا النصر العظيم**"!

في المقهى، الرواد ب"**الشيشة**" في أفواههم يرفعون قبضاتهم تهليلا بانتصارهم العظيم مكبرين:

-"**الله اكبر ! الله اكبر!**"

يخرجون إلى الشارع للتظاهر ومشاركة باقي رواد المقاهي اللانهائية ملوحين ب"**شيشاتهم**" في الهواء ...

<u>الخبر الثاني في الأسبوع الثاني، على أمواج الإذاعة:</u>

كل القنوات التلفزية والإذاعية، الأرضية والفضائية، تنقل نفس الخبر على مدار الساعة كخبر أول وأخير في نشرة الأخبار حيث يلقي يطالع المشاهد والمستمع والقارئ على السواء "**أب الثوار**" وهو يلقي خطابا مرتجلا:

- "هنيئا لكم، أيها الثوار بهذا الانجاز التاريخي وهذا النصر العظيم على قوى الظلم والفساد!..."

من الحانات، يخرج الرواد متأرجحين للشارع بعلب الجعة في أيديهم تهليلا بنجاح الثورة مهللين:

- "الله اكبر! الله أكبر!"

في الشارع، يلتقي الرواد اللانهائيون للحانات اللانهائية ملوحين بعلب الجعة في الهواء مبتهجين بنجاح الثورة.

الخبر العاشر في الأسبوع العاشر على أمواج الإذاعة:

كل القنوات التلفزية والإذاعية، الأرضية والفضائية، تنقل نفس الخبر على مدار الساعة كخبر أول وأخير في نشرة الأخبار حيث يلقي يطالع المشاهد والمستمع والقارئ على السواء "**أب الشرفاء**" وهو يلقي خطابا مرتجلا:

- "هنيئا لكم، أيها...."

من المحطات الطرقية، يتدفق "**الشمكارة**"، من ماسحي الأحذية، ملوحين تارة بمناديلهم المبللة بالمواد الكيماوية الكريهة وتارة واضعين إياها على أنوفهم محتفلين بنجاح الثورة...

18 نوفمبر 2009

وراء كل عظيم أقزام

"هل للحكومة أن تخصص بنفسها لنفسها ما تشاء من مراتب العظمة ورواتب المال وتحابي من تريد بما تريد من حقوق الأمة وأموالها؟ أم يكون التصرف في ذلك كله إعطاء وتحديدا ومنعا منوطا بالأمة؟...!"

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 147

في الحاجة إلى عظيم:

- نريد عظيما. الضرورة تتطلب ذلك...
- ليس بيننا من هو أهل للمهمة منك.
- العظيم تصنعه المرأة!...
- ومن لم تصنعه المرأة يصنعه الأقزام!...
- نعم. يكفي أن يقف أي كان بين الأقزام ليظهر عظيما!...
- ويكفي أن يقول المرء شيئا فيؤيده الجميع ليظهر عظيما!...
- ويكفي أن يستشهد الجميع بآراء امرئ واحد ليصبح عظيما!...
- ويكفينا أن نفهم كل هذا ليكون عندنا رجل عظيم يجمع شملنا ويوحدنا ويقودنا!...

انتعاش الرغبة في العظمة:

المرشح للعظمة: وماذا عن مرتبي إذا ما وافقت على مقترحكم بقبولي لدور العظيم وقيادة مجتمع الأقزام؟!...

الأقزام: سيكون راتبا أكبر من راتب أي زعيم من زعماء الدنيا. خدماتكم ستفوق خدمات أي راع من رعاة رعايا التاريخ...

المرشح للعظمة: وأنتم؟!...

الأقزام: نحن، بحكم كوننا حاشيتك، سنتقاضى راتبا يساوي رواتب نظراءنا من حاشية زعماء الدنيا...

المرشح للعظمة: والرعايا؟!...

الأقزام: الرعايا سيلجؤون للمقايضة في الأكل والزواج واللباس فليس لهم ما يفعلونه بالمال والرواتب. ثم إن في المقايضة تخفيف عظيم للميزانية وفائدة كبيرة لمشاريع التنمية...

المرشح للعظمة: أنا موافق على تبوئي عرش العظمة فهات مشاريعكم وليتقدم كل قزم منكم بمشروع لأبث فيه!...

مشروع القزم ذي السوابق العدلية المرشح لحقيبة وزارة العدل:

سنخرج كبار المجرمين من السجون وكل المحكومين بالمؤبد والأعمال الشاقة ممن أدينوا بجرائم الحق العام. هؤلاء سينوبون عنا في سَنّ حالة الطوارئ ليلا وحظر التجول...

بهذه الطريقة، سنكتفي، نحن، بالظهور على الشاشة وامتداح الحرية وحق التجول والتنقل والتعبير والتفكير . كما سنحول رقم الشرطة إلى رقم أخضر يصالح الناس ويربط الاتصال بالفضائيات لمد البرامج التي ينشطونها حول التسامح والتصالح مع المنحرفين بالضيوف المجمعين في مخافر الشرطة...

هكذا، سيخلو الشارع من الناس ليلا. وبذلك، ستتغير الوسيلة: فعوض أن نقوم بإخلاء الشوارع بالشرطة والهراوات، سيقوم بها المجرمون من أبناء الشعب. حتى إذا ما استوعب الشعب الدرس، أعدنا المجرمين للسجن في انتظار رصد ردود فعل الشعب والتأكد من انضباطهم للدخول والخروج ليلا. وإذا ما عاد شغبهم ثانية، أخرجنا المجرمين من جديد...

مشاريع الأقزام من قدماء كسالى المدارس العمومية المرشحين لحقائب وزارية في حكومة نظام العظيم:

- لنخفض العملة والرواتب ومستوى المعيشة كي لا يهرب لنا أحدا. لنخفض العملة إلى أقصى درجاتها حتى لا يتسنى لأحد الخروج من المعتقل/الوطن، وحتى لا يتمكن أحد من الإفلات من قبضتنا، قبضة الواجب، لنحولهم إلى رهائن ففي ذلك ضمانة لاستمرارية خدمتهم لنا وتفانيهم فيها.
- لنحارب المعرفة حتى نبقى نحن وأبناؤنا لوحدنا نوابغ البلد...
- لنرفع أثمنة مواد البناء ظاهريا لمحاربة السكن العشوائي وباطنيا للتحكم في البناء فلا يجاورنا أحد من الرعاع ...
- لنرفع فواتير الهاتف والانترنت كي يقطعوا صلتهم ببعضهم البعض...
- لنضاعف الضرائب على وسائل النقل لرفع الثمن حتى لا يسافر أحد ولا يتجدد أحد...
- لنسن قوانين عقابية لكل من يخل بالتكافل الاجتماعي حتى لا يهرب أحد من قبضة الأسرة والتقاليد والنظام العام. فنمنع السكن المنفرد ونحارب العزوبة والزواج المتأخر ونشطب كلمة "**الحرية**" من كل القواميس...

القزم المرشح لوزارة التعليم في حكومة نظام العظيم:

- سنحرق كل الكتب...
- سنمنع كل الجرائد والمجلات والدوريات...
- سنقطع كل اتصال بالماضي وبالمستقبل...
- سنشيع الإيمان بأن الأقزام هم الأصل...
- س...

تعليمات الرجل العظيم من خلال أول خطاب بمناسبة اعتلاء عرش العظمة:

" في البداية، سيكون أول إجراء هو تنازلكم لي جميعا عن أسمائكم. أنتم الآن سواسية كأسنان المشط. أما أنا، فليختر لي كل واحد منكم اسما لا يتكرر بحيث أتعرف لاحقا بهوية صاحبه بمجرد التلفظ باسمي الجليل الذي اختاره لي، لي أنا وحدي. هيا، تقدموا. واحدا واحدا. ومن قدم نفسه من خلال اسمي الجليل، فليتراجع للخلف ليفسح المجال للآخرين..."

طابور الأقزام يتقدمون واحدا واحدا، حبوا على الأيدي والأرجل لتسمية العظيم:

- **مولاي الرمز!**
- **مولاي القائد!**
- **مولاي البطل!**
- **مولاي الزعيم!**
- **مولاي الربان!**
- **مولاي الفارس!**
- **مولاي المنتصر!**
- **مولاي الباني!**
- **مولاي المهندس!**
- **مولاي الراعي!**
- **مولاي الأب!**
- **مولاي الباعث!**
- **مولاي المعلم!**
- **مولاي المحرر!...**

إعلان الحكومة:

"أيها الأقزام الأوفياء، سأعينكم في حكومتي بشرط أن تكون كل تصريحاتكم ذكية وأن تنسبوها لي وتذكروا اسمي قبل وخلال وبعد كل جملة"...

أجندة الحاكم العظيم:

- أين **قزم الأجندات؟**
- هاأنذا، يا مولاي **الباعث...**
- حسنا. ماذا ينتظرني اليوم؟!...
- نحن، مولاي **الباعث**، في يوم الفاتح من شهر الفاتح من سنة الفاتح. اليوم، هو يوم انتفاضتك على الحكم البائد لإقامة دولة النور الحرة وإخراج العالمين من الظلمات إلى الضياء...
- أقيموا، إذن، الحفلات وأضيئوا الأنوار وأجهزوا على الناس بالغناء والإيقاع والرقص وأدوا حساب رواد الحانات وأطلقوا مياه النافورات واقرؤوا خطبتي هذه في الساحات العمومية كل ربع ساعة على مدى أربعين يوما، وهي المدة التي حددتها للاحتفال بهذا اليوم التاريخي العظيم.
- أمرك، مولاي **الباعث...**

برقيات التهاني والتبريك:

1)- **برقية حاكم عظيم آخر من بلد آخر**: بمناسبة حلول الذكرى الأولى لبداية خلودكم على كرسي الحكم في بلدكم، يشرف جلال عظمتنا ومهابتنا أن نتقدم إليكم بأحر التهاني والتبريك...
2)- **البرقية المائة**: بمناسبة حلول الذكرى الأولى لبداية خلودكم على كرسي ال...
3)- **البرقية الألف**: بمناسبة حلول...
4)- **البرقية المليون**: بمناسبة...

إنجازات الرجل العظيم:

- **أين قزم الانجازات؟**
- هاأنذا، يا مولاي **القائد**...
- ماذا كتبت، أنا، اليوم؟
- اليوم، كتبت، يا مولاي **القائد**، رواية.
- وبماذا عنونتها؟!...
- لقد عنونتها "**زبيبة والملك**".
- وكم كلفتني هذه الرواية، يا **قزم الانجازات**؟!...
- كلفتك الرواية، يا مولاي **القائد**، ثمنا يعادل راتب ألف معلم وعشرة آلاف ممرضة ومائة ألف موظف بالجماعات المحلية...
- ومن هذا المتفاني في خدمة **القائد العظيم**، المحظوظ بهذه المكافأة؟...
- أنا، يا مولاي **القائد**. أنا كاتب الرواية وصاحب المكافأة وأنت صاحب الرواية التي ستدخل بها التاريخ...
- وماذا ستفعل بكل هذه الثروة وأنت مجرد قزم؟!...
- لم أفكر في ذلك بعد، يا مولاي **القائد**. أنا أجهد نفسي لهدف واحد وحيد هو التفاني في خدمة مولاي **القائد**...
- خذ مكافأتك إذا كنت لم تأخذها بعد واذهب، راضيا مرضيا. فأنت قزم إلى يوم الدين!...

العظيم وقد اشتد عظمه وفاضت عظمته:

"أنا لا أسير البلاد، أنا امتلكها وأنا لا أدير أموركم، أنا أمتلككم. فإن سلبت البلاد مني، كنتم وراء الخيانة؛ وإن طالبتم بالحرية، عضضتم من التفاحة المحرمة..."

تقرير واقع الحال الثقافي على مسامع العظيم:

لقد أينعت ثمار عملنا وبرعمت مجتمعا طالما حلم به العظيم وحرص على رعايته. لقد أصبح هنا، في بلدك يا مولاي، للأمية علم وطني كما أصبح لها حدودا مع الجيران الأشقاء وسنعمل على أن تكون لها ثقافة خاصة بها وبرامج عمل ومشاريع ثارة مستقبلية وثارة ماضوية. وهنا، يا مولاي الإحصائيات. فحيثما تحدثت الأرقام، خرصت الألسن:

سبعون في المائة من الشعب أمي والثلاثون في المائة الباقية سبعون في المائة منها خرج من المرحلة الابتدائية فيما الثلاثون في المائة من الباقية الباقية سبعون في المائة منها تقرأ لتنجح في الامتحانات المدرسية أو المباريات المهنية والثلاثون في المائة الباقية من بقية الباقية سبعون في المائة منها تقرأ بالمجان ما يصل يدها ولا تبذل أي جهد للبحث أو المعرفة والثلاثون في المائة المتبقية من بقية الباقية المتبقية سبعون في المائة

منها تقرأ بتوجيه من الجماعة التي تنتمي إليها والثلاثون في المائة من بقايا بقية الباقية المتبقية سبعون في المائة منها لا يستوعب ما تقرا لأنها تقرأ تحت الضغط والثلاثون في المائة من غبار بقايا بقية الباقية المتبقية سبعون في المائة منها يثور على قدره وانتمائه ويخرج للبحث عن الكتاب لكنه سعي عبثي...

في سعيه للكتاب، يجد القارئ في **متاهة ثانية** مشابهة لمتاهة القراءة: سبعون في المائة من المكتبات تغلق أبوابها من الإفلاس والثلاثون في المائة الباقية سبعون في المائة منها هي مجرد حوانيت للأدوات المدرسية والمقررات الدراسية والجرائد اليومية والفوطوكوبي وثلاثون في المائة الباقية من بقية الباقية سبعون في المائة منها تعرض وتبيع الكتب الصفراء والرمادية والكالحة والثلاثون في المائة الباقية من بقية الباقية سبعون في المائة عائداتها من كتب الطبخ والتجميل وقانون السياقة وأغاني المطربين من الشرق والغرب أما الثلاثون في المائة الباقية من بقية الباقية المتبقية سبعون في المائة منها يتحدى الشروط الموضوعية التي تحد من فاعليته ويفجر إمكاناته ويؤسس لتقاليد جديدة لأجيال قارئة جديدة قوامها "**التعريف بالكتاب الحق وتقريب الكتاب من القارئ ووضع الكتاب في موقعه الصحيح كمركز كل إقلاع اجتماعي**"، وحين تبدأ هذه المكتبات في ممارسة حلمها هذا، بإقامة حفلات التوقيع وفتح المعارض لزوار الكتب والقراءة، تُفاجأ ببداية **المتاهة الثالثة** حيث سبعون في المائة من الزوار لا يشترون وشعارهم "**اللي ما شرا يتنزه**" أما الثلاثون في المائة الباقية سبعون في المائة فزبناء البطائق والأظرفة والطوابع البريدية أما الثلاثون في المائة من البقية الباقية فسبعون في المائة منهم لصوص كتب يشمشمون عن المعارض حيثما كانت ويتقاسمون جنبات المعرض سلفا وينسقون مع بعضهم البعض أثناء العمل داخل خيمة العرض بحيث تكون الكتب المسروقة متنوعة حين ينشرونها في معارضهم الخاصة في مكان ما...

المجلس الحكومي لتقييم المخطط العشاري الأول

العظيم: ما العمل مع المثقفين وقد تعالى صوتهم وتعاظم نفوذهم؟!...
الأقزام: اعطيهم، الآن، حرية التعبير...
العظيم: ولكن سلاحهم خطير: الكلمة، حرية التعبير تعني شيوع سلاح ضدنا: الحرية والوعي...
الأقزام: لا خطر عليك منهم، يا مولاي. إنهم بلا أنياب وسيجدون أنفسهم يصيحون في واد...
العظيم: كيف؟
الأقزام: لقد أتممنا **المخطط العشاري الأول**، فنسبة الأمية أوصلناها إلى سبعين في المائة. وبهذا سيشعر المثقفون بالعزلة والغربة واليأس وسيلوذون بالصمت حين يوقنون بأن حرية التعبير لا جدوى منها.
العظيم: قمتم بمخطط ونجحتموه؟
الأقزام: نعم. الأمية هي وسيلة لتغليب ميزان القوى لصالحك، أيها العظيم. فإذا حاربتها، زاحمتك وجوه كنت أنت معلمها وربما صادرت منك السلطة والكلمة. فبمحاربتك للأمية، يسقط عن رأسك تاج الخلود في الزعامة وتسقط عن وجوهنا أقنعة الحكمة والنبوغ ورجاحة العقل...
العظيم: نعم الفعل ودامت الأقزام في خدمة الأسياد!...

طلائع الأنين والعويل:

الأنين ينبعث من كل النوافذ...
دبيب الأنين يهز الأرض من أقصاها إلى أقصاها...
الأنين لعنة ستوقظ كل النيام...
ما العمل؟!...

حكمة قزم حكيم:

قال حكيم:

- "نصنع لهم وضعيات تفرض عليهم تبنّي الخضوع ثقافة وقناعة"...

تحمس العظيم للطرح وطلب الشرح والإفاضة فقال له الحكيم:

- "سنضع المراوح في كل مكان في السقف، ونخبرهم قبل الدخول إلى أن المراوح قد تقطع رؤوسهم إذا اعتدلوا في وقفتهم، آنذاك سيضطرون إلى الانحناء والانكباب على وجوههم وقد يزحفون نحوك. مهما كانت طريقة تقدمهم إليك، فالمهم أن كلامهم لن يخرج عن شكل مشيتهم وسوف يطلبون الخلاص والنجدة"...

المخطط العشاري الثاني:

- إذن، لنطبقها على البلاد جميعا. لنجعل المراوح في كل مكان، فوق رأس كل دابة على الأرض!...
- ولكن، أيها العظيم، الأمر سيكلفنا أموالا طائلة!...
- نحن لن نصرف مليما واحدا!...
- ومن أين لنا بالمال، أيها العظيم؟!...
- من أموال الضرائب على من لم ينحني للمراوح بالتحايل عليها!...

توالي الهزائم:

الهزيمة الأولى:

- لقد انهزمنا...
- هذه مجرد هزيمتنا الأولى...
- لنسميها "**نكسة**"، فالمعجم يعين على التبرير...
- **حي على النكسة!...**

الهزيمة الثانية:

- لقد انهزمنا...
- هذه مجرد هزيمتنا الثانية...
- هي مجرد "**عثرة**"...
- **حي على العثرة!...**

الهزيمة العاشرة:

- لقد انهزمنا...

- هذه مجرد هزيمتنا العاشرة...
- "كبوة" ليس إلا...
- حي على الكبوة!...

الهزيمة المائة:

- لقد انهزمنا...
- هذه مجرد هزيمتنا المائة...
- لنسميها...
- حي على ال...!

الهزيمة الألف:

- سيدي، لقد استنزفنا معجم "**الهزائم**" فلم يعد ثمة كلمة مرادفة تخفف من وقع الهزائم المتلاحقة...
- لا تقل هذا، أيها الوغد. أتجرؤ على قول ذلك للعظيم وفي حضرته؟ ماذا تقصد؟ أن نسميها هزيمة؟!...
- ولكننا وصلنا إلى أعلى سلم النكسات والعثرات والكبوات...
- فكر في سلامة رأسك وإلا قطعته!...

العظيم لراوي القصة:

"أيها الراوي المنفلت من قبضتي، أطفئ عني هذه الأنوار الكاشفة واخرس هذه الأبواق الفاضحة وأسدل هذه الستائر واختم هذه القصة اللعينة!"...

بتاريخ 29 يوليوز 2003

خليفة الله في أرضه

"خلق الله في الإنسان استعدادا للصلاح واستعدادا للفساد، فأبواه يصلحانه وأبواه يفسدانه. أي أن التربية تربو باستعداده جسما ونفسا وعقلا إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وقد سبق أن الاستبداد المشؤوم يؤثر على الأجسام فيورثها الأسقام، ويسطو على النفوس فيفسد الأخلاق، ويضغط على العقول فيمنع نماءها بالعلم. وبناء عليه، تكون التربية والاستبداد عاملين متعاكسين في النتائج، فكل ما تبنيه التربية مع ضعفها يهدمه الاستبداد بقوته، وهل يتم بناء ما وراءه هادم؟"

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 101

اليافطة الإشهارية :

مرحبا بكم في الموقع الرسمي لفخامة السمو المفدى **قحطان** بن **قحطان** آل **قحطان**، راعي العباد وحامي البلاد، حفظه الله وغلبه على الحاقدين والمتآمرين.

انقر **هنا** لتدخل.

(كليك!)

الصفحة الرئيسة للموقع المفدى:

هذه خريطة موقع سموه المفدى. اختر مدخلا مما يلي :

1/- ألبوم سموه.
2/- مشوار سموه.
3/- هوايات سموه.
4/- غراميات سموه.
5/- مسابقة سموه الكبرى.

انقر على **الرابط** لتدخل.

(كليك!)

مسابقة سموه الكبرى:

قرر سموه حفظه الله وغلبه على الحاقدين والمتآمرين في إطار عنايته بالثقافة أن يخصص ميزانية الدولة للسنة المالية الجارية للنوابغ من النشء الذي يزخر به وطننا الحبيب من خلال المسابقة الثقافية الكبرى.

اختر المستوى المناسب لثقافتك:

1/- **المستوى الأول.**
2/- **المستوى الثاني.**
3/- **المستوى الثالث.**

انقر على **الرابط** لتدخل.

(كليك!)

المستوى الثالث من المسابقة :

المسابقة تشترط في هذا المستوى الإجابة على السؤال في أقل من خمس ثوان.

الجائزة عبارة عن إقامة دائمة في **جزر هاواي** صحبة مئة جارية وخمسين عبدا وجوقة موسيقية من خمسة عازفين وراتب سنوي مواز لميزانية محافظة ***النجدة*** وتقاعد مريح مدى الحياة...

انقر على زر "**موافق**" لتدخل.

(كليك!)

السؤال الأول:

في أي تاريخ ولد سموه المفدى؟

1/- **أبريل 1948؟**
2/- **شتنبر 1967؟**
3/- **أكتوبر 1973؟**

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال الثاني :

ما هو اللقب الذي يشتهر به سموه المفدى؟

1/- **خليفة الله في أرضه؟**
2/- **ظل الله في أرضه؟**
3/- **حبيب الله في أرضه؟**

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال الثالث:

أول حوار مباشر على الشبكة الدولية للمعلومات (**الإنترنيت**) قام به زعيم معاصر هو الذي أجري مع سموه المفدى وكان ذلك عن طريق :

1/- البريد الإلكتروني؟
2/- البال توك؟
3/- غرف الدردشة والفرفشة؟

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال الرابع :

ما هي هوايات سموه ؟

1/- الغوص واستخراج اللؤلؤ؟
2/- تربية الصقور؟
3/- تربية الخيول؟

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال الخامس:

ماذا تشاهد في المعرض الأول للخيول بالعاصمة المباركة؟

1/- جياد سموه المفدى؟
2/- الجوائز التي حصل عليها سموه المفدى؟
3/- صور سموه المفدى؟

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال السادس:

فاز سموه المفدى بجائزة "الفارس المغوار" ممتطيا جواده الذي يحمل اسم :

1/- "وامعتصماه !" ؟
2/- "يا رعيتي!" ؟
3/- "تبا لكم!" ؟

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال السابع:

بماذا بني قصر سموه المفدى؟

1/- **الاسمنت المسلح؟**

2/- **الزجاج المسلح؟**

2/- **الذهب المسلح؟**

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال الثامن:

في لحظات الاسترخاء، يفضل سموه المفدى حفلات خاصة تنشطها رقصات تتقن الرقص على:

1/- الطريقة المشرقية: "**عَلَى وَاحْدَة ونُصّ**"؟

2/- الطريقة الخليجية: "**أمّ عَلايّة**"؟

3/- الطريقة المغربية: "**هَزّ البُوطْ** "؟

انقر **الجواب المناسب** لتنتقل إلى السؤال التالي.

(كليك!)

السؤال العاشر:

قـف!

Arrêtez-vous!

Stop!

حصيلة مشاركتم في مسابقة سموه الكبرى

علم الموقع، بوسائله الخاصة، أنك كنت تضحك ساخرا طيلة مدة قراءتك للأسئلة. كما علم، بوسائله الخاصة كذلك، أنك تشارك طمعا فقط في الجائزة المالية. ولذلك، قرر السيد المشرف على المسابقة طردك من المنافسة وشطب اسمك ومعلوماتك المسجلة عندنا.

مع السلامة!

Chao!

A dios!

Goodbye!

13 فبراير 2003

ضرائب مستحقة للعظيم

"الاستبداد يتصرف في أكثر الأميال الطبيعية والأخلاق الحسنة فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها فيجعل الإنسان يكفر بنعم الله لأنه لم يملكها حق الملك ليحمده عليها حق الحمد، ويجعله حاقدا على قومه لأنهم عون لبلاء الاستبداد عليه؛ وفاقدا حب وطنه لأنه غير آمن على الاستقرار فيه ويود لو انتقل منه؛ وضعيف الحب لعائلته لأنه ليس مطمئنا على دوام علاقتها معها؛ ومختل الثقة في صداقة أحبابه لأنه يعلم منهم أنهم مثله لا يملكون التكافؤ؛ وقد يضطرون لإضرار صديقهم بل وقتله وهم باكون. أسير الاستبداد لا يملك شيئا ليحرص على حفظه لأنه لا يملك مالا غير معرض للسلب ولا شرفا غير معرض للإهانة. ولا يملك الجاهل منه آمالا مستقبلة لتبعها ويشقى كما يشقى العاقل في سبيلها."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 85

قرأ **العظيم**، على صفحات الجريدة الأجنبية، أخبار البناء العشوائي والأسواق العشوائية والمزابل العشوائية في بلده، فأبرق إلى **وزير فائض الأرباح** في حكومته كاتبا:
- تتساهلون مع المستفيدين من الأزمات والكوارث، فأين حقي مما تربحونه في صفقات التساهل؟!...

فور قراءته للبرقية، كتب **وزير فائض الأرباح** إلى مناديبه الإقليميين:
- تتساهلون مع المستفيدين من الأزمات والكوارث، فأين حقي وحق **فخامة السيد الرئيس** مما تربحونه في صفقات التساهل؟!...

مباشرة بعد قراءة البرقية، كتب كل مندوب إقليمي برقية إلى ممثلي السلطة المحلية في إقليمه:
- تتساهلون مع المستفيدين من الأزمات والكوارث، فأين حقي وحق **سعادة الوزير** وحق **فخامة السيد الرئيس** مما تربحونه في صفقات التساهل؟!...

وجد ممثلو السلطة المحلية البرقيات المؤرخة بتاريخ الأمس على مكتبهم في صباح اليوم الموالي. لذلك، كانت أول أوامرهم الصباحية موجهة لأعوان السلطة والقوات المساعدة:
- تتساهلون مع المستفيدين من الأزمات والكوارث، فأين حقي وحق **سيادة المندوب الإقليمي** وحق **سعادة الوزير** وحق **فخامة السيد الرئيس** مما تربحونه في صفقات التساهل؟!...

خرج أعوان السلطة وأفراد القوات المساعدة، مذعورين، يجرون في كل الاتجاهات: يطارِدُون هنا أحيانا من لا سند له في الحياة ويُطارَدُون هناك أحيانا أخرى من طرف من تجذروا في المكان والزمان؛ يهجمون تارة على المحلات التجارية التي لا أرقام لها ولا عناوين بريدية ويُهاجمون بالحجارة تارة أخرى عند التفكير في الوصول إلى المحلات الأكبر المنتسبة للأسماء الأثقل. يجرون أكياس مالية في هذا الشارع نحو مكتب ممثل السلطة المحلية ويجرون زميلا جريحا في الشارع الآخر نحو المستشفى...

بعد إيداع الغنائم على مكتب رئيسهم، أومأ ممثل السلطة المحلية للسكرتيرة الخاصة ببداية تحرير رسالة لإرفاقها بالأكياس المالية الموجهة رأسا إلى السيد المندوب الإقليمي:

- هذه حصتكم، **سيدي المندوب**، وحصة **سعادة الوزير** و**فخامة السيد الرئيس** بعد خصم الضريبة المستحقة لي ولأعواني!...

وصلت الرسالة بعد الزوال، رفقة رسائل وأكياس مالية أخرى من باقي ممثلي السلطة في الإقليم. فتحها المندوب الإقليمي قبل افتتاح أشغال الاجتماع الطارئ الذي ينتظره في القاعة المجاورة. حسب المال في الأكياس، في نفس اللحظة وبنفس الطريقة التي كان يتصرف بها نظراؤه المناديب في باقي أقاليم البلاد، ثم حرر رسالة إلى **وزير فائض الأرباح** وأرفقها بأكياس المال بعدما خصم نصيبه منها، كاتبا:

- هذه حصتكم، **سعادة الوزير**، وحصة **فخامة السيد الرئيس** بعد خصم الضريبة المستحقة لي ولممثلي السلطة المحلية وأعوانهم!...

وصلت الرسالة رفقة الأكياس المالية إلى يد **وزير فائض الأرباح** في اليوم الموالي لكنه لم يستطع قراءة مئات الرسائل التي تقول نفس الشيء واكتفى بحساب المال في الأكياس قبل أن يكتب **للعظيم** عند الغروب:

- **صاحب الفخامة السيد الرئيس**، هذه حصتكم بعد خصم الضريبة المستحقة لي ولمندوبي الإقليمي وممثلي السلطة المحلية وأعوانهم!...

وصلت الرسالة إلى يد **العظيم** في نفس التوقيت وبنفس الطريقة التي وصلت بها رسالة **وزير الشفافية** ورسالة **وزير محاربة الرشوة** ورسالة **وزير حماية المال العام** ورسالة **وزير التكافل الاجتماعي** ورسالة **وزير الإصلاح الديني ووزير الإقلاع الاقتصادي وووزير الانبعاث الثقافي**... ومرفقة بنفس العدد من الأكياس المالية.

ولأن عدد الأكياس بالكاد اتسعت له مائة شاحنة، فقد اكتفى **العظيم** بابتسامة رضى على طاعة مرؤوسيه وفورية تفاعلهم مع أوامره. وبإيماءة من يده، رُفِعَت الحواجز أمام الشاحنات لتسهيل مرورها إلى "**مخزن المال**" حيث سيتكفل بعَدِّ القطع النقدية والأوراق المالية خدم يعيشون حياتهم لعدِّ المال وفرز فئاته وإبلاغ **العظيم** بنمو رأسماله في "**مخزن المال**"، بعيدا عن عيون المتلصصين، من **خصوم الداخل**، في الأبناك العمومية وَمَحْمِيّاً من التصنيفات الدولية لأغنياء العالم التي يشرف عليها **خصوم الخارج** لتحريض **خصوم الداخل** وإذكاء نار الفتنة...

أما **العظيم**، فقد طلب جريدة أجنبية أخرى تتناول عورات سياسته لتلهمه تخريجة جديدة لجني الموارد والضرائب والغنائم والأرباح والضرائب...

بتاريخ: السبت 7 أبريل 2012

العظيم وصواحين الريح

"المستبد في لحظة جلوسه على عرشه ووضع تاجه الموروث على رأسه يرى نفسه أنه كان إنسانا فصار إلها. ثم يرجع النظر فيرى نفسه في نفس الأمر أعجز من كل عاجز وأنه ما نال ما نال إلا بواسطة من حوله من الأعوان، فيرفع نظره إليهم فيسمع لسان حالهم يقول له: ما العرش وما التاج وما الصولجان؟ ما هذه إلا أوهام في أوهام. هل يجعلك هذا الريش في رأسك طاووسا وأنت غراب، أم تظن الأحجار البراقة في تاجك نجوما ورأسك سماء، أم تتوهم أن زينة صدرك ومنكبيك أخرجتك عن كونك قطعة طين من هذه الأرض؟ والله ما مكنك في هذا المقام وسلطك على رقاب الأنام إلا شعوذتنا وسحرنا وامتهاننا لديننا ووجداننا وخيانتنا لوطننا وإخواننا فانظر أيها الصغير المكبر الحقير الموقر كيف تعيش معنا!"

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 64

كل العالم يتحدث عن عبقرية الوطن الذي يتكلم مواطنوه خمس لغات: الأمازيغية والعربية والإسبانية والفرنسية والانجليزية. لكن الخلاف الناشب مع الجارة الشمالية دفع بالحاكم المُلهَم إلى إعلان قرار منع التواصل بلغة العدو، **اللغة الاسبانية**.

وحينما شب خلاف مع الجارة الثانية، سارع الحاكمُ المُلهَمُ إلى إعلان قرار يمنع التواصلَ بلغة العدو، **اللغة الفرنسية**.

وحين شب الخلاف مع الجارة الثالثة، سارع الحاكمُ العبقري إلى منع التواصل بلغة العدو، **اللغة الانجليزية**.

وعندما شب خلاف مع الجارة الرابعة، سارع الحاكمُ النابغة إلى منع التواصل بلغة العدو، **اللغة العربية**.

آنئذ، سارع الناس لتدارك الأمر:
- فخامة وسعادة وسيادة وأخوة الحاكم العظيم، إن اللغة العربية ليست لغة العدو!

فرد عليهم:
- بل هي لغته ما دام يتواصل بها ويحلم بها ويحب بها ويكره بها....

وعندما شب خلاف مع الجارة الخامسة، سارع الحاكمُ المُلْهَمُ إلى إعلان قرار منع التواصل بلغة العدو، **اللغة الأمازيغية**، فهاج الشعب:
- لم تُبْقِ لنا لغة للتخاطب والتواصل، أيها العظيم؟!...

فرد الحاكمُ المُلْهَمُ، تحت تصفيق حاشيته:
- بلى، فقد أبقيت لكم على أهم اللغات وأكثرها كونية: لغة الإشارة. وإلا، فلماذا أعطتكم الطبيعة الأيدي وسلحتكم بلغة الجسد؟ أليس لتتواصلوا بالإيماءات والإشارات...

صاح الناس وقد نسوا بأنهم في حضرة العظيم الأوحد:
- وإذا استعملها عدو آخر، أيها العظيم؟

رد العظيم:
- آنذاك، ستُشَنُّ عليه الحرب كما شُنَّتْ على غيره!...

فجاءه الجواب جماعيا هائجا كما لم يعهده أبدا:
- حروبك لا تُشَنُّ على أحد. حروبك لا تُشَنُّ إلا علينا وعلى لغاتنا...

بتاريخ: 9 يوليوز 2009

في أزبالِنَا كُلُّ أسْرارِنَا

"الاستبداد المشؤوم لم يرض أن يقتُلَ الإنسانُ الإنسانَ ذبحاً ليأكلَ لحمه أكلاً كما كان يفعل الهمج الأولون، بل تفنن في الظلم: فالمستبدون يأسرون جماعتهم ويذبحونهم فصداً بمبضع الظلم، ويمتصون دماء حياتهم بغصب أموالهم، ويقصرون أعمارهم باستخدامهم سخرة في أعمالهم، أو بغصب ثمرات أتعابهم. وهكذا، لا فرق بين الهمج الأولين والآخرين في نهب الأعمار وإزهاق الأرواح إلا في الشكل."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 70-71

على جهاز التلفاز، أحد الضيوف من المنتسبين إلى المعارضة السياسية في المنفى يصرح لمقدم البرنامج الحواري بأن مخابرات النظام السياسي في بلاده تتعقب المنفيين من المواطنين حتى في الخارج بحيث تجد ضالتها في تفتيش سلال قمامتهم بشكل منتظم بحثا عما يدينهم أو يؤكد إدانتهم ويراكم التهم ضدهم...

"**مقدم البرنامج**، مبتسما: وأي قيمة تكتسيها الأزبال حتى يسافر عملاء المخابرات جوا لتفتيشها وجمعها مبوبة ومصنفة ومرتبة إلى أرض الوطن؟
الضيف المعارض، حازما: في أزبالنا كل أسرارنا. كل شيء موجود في أكياس قمامتنا من وثائق ممزقة ومسودات غير متداولة وتذاكر السفر بتواقيت الانطلاق والوصول وأدوية وأنواع الغذاء، المطبوخ منه والجاهز وكل شيء قد يغيب عن بالي الآن...."

كان لهذا التصريح وَقع الصدمة عَلَيَّ.

صدمة قوية!

أشياء غريبة لاحظتها قبل هذا التصريح كان بطلها كيس قمامتي لكنني لم أعر الأمر اهتماما يليق به. شخوص أليفة وأخرى غريبة تحاور كيس قمامتي كل ليلة. أحيانا، يصلني فقط خشخشة الكيس البلاستيكي وعبث الأيادي الآدمية بما عاف السبع. وأحيانا أخرى، أشباح في الظلام تلقي بكيس قمامتي لدى انتباهها لوجودي عند منعطف الزقاق قادما إلى بيتي...

مع مرور الأيام، بدأت أنتظر وقت قدوم شاحنة النظافة كي أخرج كيس قمامتي لئلا تعترضها يد طائشة. لكنني مع مرور الأيام لاحظت أن رجلا واحدا من الرجال المصاحبين للشاحنة يمد يده لكيس قمامتي ولا يرميها على ظهر الشاحنة حتى بعد المنعطف عند نهاية الزقاق.

بدأت أتغيب عن موعد إخراج الأزبال، فبدأ الأغرب، الطرق على الباب:

- **"سيد محمد، هات كيس قمامتك!"**

بدأت أحمل أزبالي معي إلى أماكن بعيدة لأرميها لكنني انتبهت إلى أن من الناس من كان يتلصص عليّ ومنهم من كان يتبعني. لذلك، بدأت أحمل قمامتي في حقيبة الحمام، للتمويه، حتى إذا ما وصلت مكانا مقفرا ألقيت ما بداخلها ثم رجعت إلى بيتي....

الغريب، أنني حين أعود إلى ذات المكان في نفس اليوم، لا أجد أثرا لبقايا قمامتي...

لذلك، بدأت أحرق النفايات في سطح بيتي لأفاجأ بالعيون على كل السطوح تتسائل باستغراب:

- **"ما هذا الأذى؟ نحن في بيوتنا وروائح الأزبال تحرق لتزكمنا"...**

<u>في المختبر السري للأجهزة السرية، اليوم الأول:</u>

- أيعيش فقط على هذا؟!
- البيض مقلي، البيض مسلوق...
- يعيش على البيض والمعلبات!...
- والخمر.
- نعم، الخمر أيضا.
- رديء هذا الخمر الذي يشربه!
- وخارج البيت، يدعي الورع والطهرانية!...
- وهذه الأوراق المحروقة، ألا يمكن بَعْثُهَا لنتعرف على ما كان مكتوبا عليها؟!

<u>في المختبر السري للأجهزة السرية، اليوم العاشر:</u>

- اليوم، استمتع باحتفالية خاصة!
- وجبة دسمة!
- هذه عظام **"كوطليط"** بلا دهون: إذن **مشوي. "كوطليط"** مشوي...
- انظر، هنا. تغيّرٌ ملحوظ: **شامبانيا!**
- وهذه الوريقات المقطعة والمفتتة وسط الأزبال، لماذا؟!
- هذا أيضا تغير جديد: لم يعد يحرق مسوداته كما كان يفعل دائما!...
- هل اكتشف عملنا؟!...

- راجع شريط الأحداث في ذاكرتك وأجب عن سؤالي. **"أنت، حين تطلب منه كيس قمامته مع مرور شاحنة النظافة الليلية، كيف تكون حالته الانفعالية: يقظ؟ خائف؟ عدواني؟"...**

- رُبّما، ردّ فعلي غالبا ما يكون **"التمثيل باللامبالاة"...**

<u>**في المختبر السري للأجهزة السرية، اليوم المائة:**</u>

- من أين له هذا؟!
- ليس له اليوم في كيس قمامته غير قنينات الخمر...
- أكل في الخارج. هذا هو التخمين. لذلك، جاء للبيت شبعانا فبدأ يشرب...
- ربما سهر في حانة أو مرقص ولما عاد، أكمل الخُمْرَةَ هُنا؟
- وما هذه القطع النتنة المتفتتة؟!
- بُرَازُهُ.
- اللعنة! تلمسته بيدي عارية!...
- أتراه اكتشف أمرنا وبدأ يتندر بنا؟...
- آنذاك، سَيَحِقُّ عليه الوبال؟!
- لكن بُرَازُهُ أيضا مادة جيدة للمختبر إذ أن كل صحته وعلله وأكله وشربه هناك!...

<u>**في المختبر السري للأجهزة السرية، اليوم الألف:**</u>

- أين كيس قمامته؟!
- لم يخرج كيس قمامته!
- سرْ مباشرة إليه واطلب منه كيس قمامته بطريقتك. لا تعد إلا ومعك القمامة!
- سينتبه للأمر وآنذاك ستتحول من حالة المطاردة إلى حالة الدفاع!
- هذا ليس مهما. أيقظه من النوم أو ادخل بيته بنفسك. المهم، أن يكون كيس قمامته هنا. هيا! ماذا تنتظر؟!...

سنة 2004

صورة الأب العظيم

"إن خوف المستبد من نقمة رعيته أكثر من خوفهم بأسه لأن خوفه ينشأ عن علمه بما يستحقه منهم، وخوفهم ناشئ عن جهل؛ خوفه عن عجز حقيقي فيه وخوفهم عن توهم التخاذل فقط؛ خوفه على فقد حياته وسلطانه وخوفهم على لقيمات من النبات وعلى وطن يألفون غيره في أيام؛ خوفه على كل شيء تحت سماء ملكه وخوفهم على حياة تعيسة فقط..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 50

التفكير في تحرير نص:

- أريد أن أكون مثلك، يا أبي! فما السبيل إلى ذلك؟
- لن تكون مثلي، يا بني.
- لكنني أحلم بذلك، وأنت تربيتي على أن الأحلام تتحقق.
- نعم، يا ولدي. لكنني لا أوصيك بإتباع نفس السبيل الذي سلكته. ربما، لو سلكت سبيلا ثانيا بعينيك على نفس الهدف لكان الأمر بالنسبة لي مقبولا.
- لماذا؟
- لأنني سلكت طريقا وعرا، وجررت علي ويلات جمة وتسببت في أزمات قاتلة قبل أن أكون الرجل الناجح في عينيك.
- وما الفرق، سأقبل بنفس الشيء!
- نعم ستفعل نفس الشيء وسيكون نصيبك من العقاب مضاعفا والنتيجة هي أنك لن تصل إلى أي نتيجة. فالطريق الوعر سابقا صار معبدا الآن، والهدف الصعب سابقا صار منتجعا اليوم، والمنتجعات لا تصنع الإنسان الناجح... اختر الأدغال التي لا أعرفها وهات شهادة نجاحك ولو بعد سنين!
- وكيف لي أن أنتزع شهادة نجاحي من الأدغال؟!
- ستكون ناجحا عندما تنسى صورتي، صورة الأب!

الطريق إلى المقصلة:

أحسست بالغربة في الساحة الجديد:
- لماذا أنا هنا؟!...

- لتعرف خطورة ما اقترفت!
- وماذا اقترفت؟!...
- كتبت قصة قصيرة عن الأب!
- أب من؟!...
- أب الجميع؟
- أنا لم أكتب عن أي أب!...

أمسكني من باقة قميصي وهزهزني قائلا:
- لقد كتبت قصة قصيرة تمس قدسية الحاكم العظيم المبجل...
- أنا كتبت عن الأقزام.
- كتبت عن الأقزام وأنت تعني السلطان: إياكِ أعني، فاسمعي يا جارة! لكن، لسوء حظك، لم تسمعك من الجارات غير هذه السيارات...

انتبهت لقافلة السيارات المنتظرة عند الرصيف القريب:
- هذه لنقلك إلى المطار لنفيك. وتلك لنقلك إلى المعتقل. وتلك، هنالك، لإيصالك إلى المقصلة...

أجبت بلامبالاة أغاضت الجلادين:
- ولماذا ثلاث سيارات؟ سيارة واحدة تكفي لتحقيق الأغراض الثلاثة: نقلي إلى المنفى ومنه إلى المعتقل حيث أعدم...

تعجب الجلاد:
-ألست خائفا؟!...
- مم سأخاف؟!...
- الاغتيال...
- الاغتيال؟!
- النفي...
-النفي؟ لا شيء يخيفني بعد ما قلت ما أردت وفعلت ما يتمنى فعله كل الخائفون على اللاشيء. أنا أومن بالولادة من جديد، بالتناسخ. سأعود بعد موتي وسأبعث في حاشية السلطان كما فعل موسى وسأفجر كل شيء من الداخل كما تتناسخ الحضارات وتنتقل من مكان إلى مكان، سأنتقل إلى جسد جديد حيث سأتمم القصتين: القصة القصيرة على الورق وقصة تحرير المستضعفين على الأرض.

<u>قانون التناسخ</u>:
بعد إعدامي، رأيت نفسي أولد في قصر الفرعون: أشده من لحيته فيغتاظ لكن أمي تطمئنه. رأيتني أحشد المستضعفين من الرعية وأعبر بهم البحر نحو آفاق مغايرة فيغرق ورائي الطاغية وتعانق جنوده الأمواج...

سنة 2007

الجريمة والعقاب

"إني أرى قصر المستبد في كل زمان هو هيكل الخوف عينه: فالملك الجبار هو المعبود، وأعوانه هم الكهنة، ومكتبته هي المذبح المقدس، والأقلام هي السكاكين، وعبارات التعظيم هي الصلوات، والناس هم الأسرى الذين يقدمون قرابين الخوف......"

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص:51

مخاضات النص:

1- التهم: تشدد، غُلُوّ، تعصب، تصرف...

2- المتهمون: السُمْر، السُود، الحُمْر، الصُّفْر...

3- وجهة الاعتقال: غير معروفة

4- هجوم الحقوقيين على ظروف المحاكمات وظروف الاعتقال وقسوتها...

5- قرار الدولة إلغاء المعتقلات وإعلان البلاد دولة بلا سجون...

6- إعادة صوغ العقوبات على ضوء شروط الدولة الجديدة، دولة بلا سجون.

فلسفة قانون العقاب الجديد:

الدعامة الفلسفية الأولى:

المؤسسات السجنية القائمة لم تعد تعطي نتائج. سلوك السجناء أصبح أكثر تطرفا. أما من حوكموا ظلما وعدوانا فإنهم يصبحون أكثر تطرفا وأكثر حرفية في الجريمة جراء الاحتكاك بالمجرمين. أغلب العصابات التي تم تفكيكها بعد إلقاء القبض على أفرادها كانت مجموعات هنا في زنازين مشتركة...

الدعامة الفلسفية الثانية:

ليكن العقاب عقابا حقيقيا ولكنه، لكي يكون كذلك، يجب الإنصات أولا لما "**يخاف**" منه المرشح للعقاب. ولهذا الغرض، يجب تتبع حياته من خلال شهاداته

وشهادات غيره وملاحظة سلوكه، وتعريضه للسؤال والصور والمواضيع المستفزة لردود أفعاله...

الاستنطاق والعقاب:

ضابط التحقيق لأعوانه الذين أحضروا للتو محكوما عليه بعشر سنوات سجنا نافذة:

- مم يخاف هذا؟
- من الأعالي.
- إذن، عقابه: **الأعالي**. خذوه إلى سطح برج المدينة ليساعد البنائين هناك لمدة عشر سنوات...

المعتقل يتمسك برجل المكتب متوسلا لكن الضابط ينشغل بالرجل الثاني المحكوم عليه بعشرين عاما سجنا نافذة:

- وهذا، مما يخاف هذا؟
- من النساء.
- إذن، عقابه: **النساء**. أعيروه لمدة عشرين عاما لممون حفلات نسوية محضة ليخدم النساء دون الرجال .

المعتقل يتمسك برجل المكتب وأقدام العملاء الذين يجرونه إلى الخارج فيتفرغ ضابط التحقيق للرجل الذي دفع إليه للتو قبل أن يعرف من لسانه بأنه محكوم عليه بثلاثين سنة نافذة:

- مم يخاف هذا؟
- من السرعة في السفر؟
- لتكن، إذن، عقوبته مصاحبة مجانين السرعة في السياقة خلال تمارينهم لمدة ستة عشر ساعة في اليوم على مدى ثلاثين عاما!...

يتوسل المعتقل للضابط ويدعو له بطول العمر لقاء العفو: يتمسك بكُمّ ضابط التحقيق لشرح ملابسات ما حدث لكن العملاء يجرونه جرّاً إلى الخارج ليتفرغ ضابط التحقيق للرجل الموالي المحكوم عليه بخمس سنوات نافذة:

- مم يخاف هذا؟
- من الأماكن المغلقة؟
- لتكن، إذن، عقوبته العمل في المناجم لخمسة أعوام.

حاول المعتقل استجداء الضابط لكن العملاء جروه جرا إلى الخارج، فاسحين المجال للمحكوم عليه بالسجن لمدة سنة:

- مم يخاف هذا؟
- من البوليس؟
- عقوبته، إذن، هي العمل كشاوش في مخفر الشرطة لمدة سنة بالتمام والكمال.

أغمي على الرجل وخر صريعا على الأرض، تاركا العملاء يجرونه من رجليه حيث شاءوا بينما انشغل الضابط بالمحكوم عليه بخمسة عشر عاما سجنا نافدة:

- مم يخاف هذا؟

- من الغرباء ؟

- خذوه للعمل في المحطة الطرقية خمسة عشر عاما كاملة!...

المعتقل يصرخ ويدعو للظالمين بالهلاك العاجل لكن العملاء يصرون على أن تكون بقية أدعيته خارج المكتب كي يتفرغ ضابط التحقيق للرجل المحكوم عليه بسنتين سجنا نافذة:

- مم يخاف هذا؟

- من المهانة؟

- خذوه للعمل كبائع متجول للحلويات على الشاطئ: يراه العادي والبادي، ويحاسب كل مساء على ضعف المبيعات إن قصر في عمله أو تهاون.

صدم المعتقل من الحكم وانتابته نوبة اضطراب شديد بلغت ذروتها خارج مكتب ضابط التحقيق الذي انشغل مباشرة بالرجل المحكوم عليه بالسجن المؤبد:

- مم يخاف هذا؟

- لا يخاف؟

اقترب منه الضابط ونفخ له في عينيه فلم يرمش.

أعاد الكرّة لكن الرجل الواقف أمامه لم يرمش ولم يتزحزح قيد أنملة.

استدار الضابط وقال للعون:

- حسنا، خذوه إلى بيتي. لا أعتقد بأن بيتي مصنف كمركز اعتقال. خذوه، إذن، إلى بيتي فثمة عقابه.

21 يناير 2009

إنِّي خَيَّرْتُكُمْ فَاخْتَارُوا!

"كلما زاد المستبد ظلما واعتسافا، زاد خوفه من رعيته وحاشيته وحتى من هواجسه وخيالاته. وأكثر ما تختم حياة المستبد بالجنون التام."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 50

في عز صراع العظيم مع المعارضة السياسية لنظامه، لجأ إلى حيلة مبتكرة لمحاصرة خصومه. فقد سلط إعلامه على حدث الفضيحة الأخلاقية التي هزت عاصمة خصومه وما واكب الحدث من نفاذ الصحف والمظاهرات واللطيف والتضرع إلى الله...

بعد شهرين، تم إكمال اللمسات الأخيرة للفضيحة الموالية التي أشعلت من جديد فتيل التظاهرات واللطيف والباقي...

بعد ثلاثة أشهر، كان دور الدفعة الثالثة من الفضائح بعاصمة المعارضة السياسية...

بعد التعب من التظاهرات والتضرع إلى الله وسماع الألقاب والنكت المهينة من كل الأفواه والأبواق والإحساس بالخجل من الانتماء للمدينة، قرر الأهالي محاورة السلطة للوقوف على الأسباب قصد معالجتها:

- لماذا يحدث لنا هذا؟!...
- لأنكم تدعمون الشيطان، فقد حلت بكم اللعنة!...
- ومن هو الشيطان الذي ندعمه؟!...
- هو تجمع الأحزاب الحمراء.
- وما العمل لرفع اللعنة عنا؟!...
- اعزلوا الأحزاب الحمراء، فكل عقاب يحل بهم هو رحمة تنزل عليكم. اعزلوهم ولا تتأخروا في الرد حتى يكون دعاؤكم مستجابا!...

لكن الرد تأخر فكان لا بد من شعار جديد يضاعف المسافة الفاصلة مع المتخاذلين: "**الجواز حق لجميع الإناث**". فحيثما وليت وجهك، كانت التعبئة وسط الإناث بالحق في الجواز للاقتراب أكثر من فرص السفر والعمل، وبالحق في الهجرة إلى حيث الطلب على الإناث أكبر، وبالحق في كراء الجسد لمن يدفع أكثر...

ولأن أغلب النساء كن بلا شغل، فقد صُكّتْ لهم مِهَنٌ على عجل. فمنهن من خُتِمَتْ على جوازهن مهنة "**المؤنسة**" ومنهن "**المدلكة**" ومنهن "**الحاضنة**"...

إلى الخارج، هُجّرت كل نساء البلاد نحو كل بلدان العالم.

وفي الداخل، انفتح الذكور على بعضهم البعض، فعمَّ "**اللواط**" وبدأ معه الجيل الثاني من الشعارات: "**الجواز حق لجميع الذكور**". فحيثما وليت وجهك، كانت التعبئة وسط الذكور بالحق في الجواز للاقتراب أكثر من فرص السفر والعمل، وبالحق في الهجرة إلى حيثِ الطلب على الذكور أكبر، وبالحق في كراء الجسد لمن يدفع أكثر...

ولأن أغلب الذكور كانوا بلا شغل، فقد صُكتْ لهم مِهَنٌ على عجل. فكان منهم "**الراقص**"و"**النديم**" و"**الساقي**" و"**المؤنس**"...

بعد دفعة "**المؤنسات**" و"**المؤنسين**"، جاء دور الدفعة الثالثة من المُهَجّرين، دفعة "**الدليل الاجتماعي**"، ودوره التدليل على أماكن "**المؤنسات**" و"**المؤنسين**" والتعريف باختصاصاتهم والإغراء بعدم غلاء أجورهم...

بعد تهجير "**الإناث**" و "**الذكور**" وإغراق أسواق العالم بالرقيق الأبيض والأسود وفتور تجارة اللحم الآدمي وتراجع التحويلات من عائداته، جاء دور البحث عن توابل لتحريك شهية الطلب العالمي من جديد...

هكذا، بدأ طبع جوازات السفر للدفعة الثالثة من سفراء البلاد: **المتحولون جنسيا والمخنثون.** وقد صُكتْ لهم مهنة عجيبة تليق بعجائبيتهم: "**تُحْفَة**". وهي مهنة تحيل على المتحف إذ ستعمل هذه "**التحف الآدمية**" في القنصليات والسفارات التابعة لوزارة الخارجية وأن يؤدي زبناؤها ثمن زيارة "**المتاحف الوطنية**" في القنصلية قبل أن يختار "**تحفة**" ويصحبها معه إلى بيته...

بعد تهجير النساء والشواذ والمتحولين والمخنثين حيث لم يبق في البلد غير العسكر والشرطة والاستخبارات والجمارك والقوات المساعدة ورجال السياسة والمثقفين والسياسيين، تفرغ العظيم للمثقفين وللمعارضة السياسية ينكل بهم تنكيلا...

آنذاك، طار من له أجنحة وفر من له سيقان طويلة وزحف من به عاهة وفارق الحياة بالسكتة القلبية من كان ينتظر السبب للقاء ربه...

خارج البلاد، وجد الهاربون أنفسهم محاصرين في بلدان الناس بنظرة ازدراء تنسبهم إلى بلاد الفساد والفاسدات والفاسدين: فيتحرش بهم اللواطيون، وبزوجاتهم زيرو النساء، وبذلك لا يتوقف الطرق على بابهم ليل نهار...

طال الغياب وطال معه المنفى وضاقت الدنيا ونفذ الصبر فعادت جحافل المنبوذين إلى أرض الوطن حيث استقبلتهم الصحافة في المطار مستعجلين ندوة صحفية:

- "**ضاق بنا الحال في الخارج. لا نجد حتى مع من نتواصل من أبناء البلد من المهجرين فكلهم مومسات أو شواذ أو قوادون ممن لفظهم الوطن إلى البحر وما وراء البحر. يئسنا من الغربة ويئسنا من التيه**"...

وبعد الندوة، كانت كلمة العظيم تنتظر العائدين إلى الوطن في حفل استقبالهم بباب قصره:

"**أخيرا، جئتم!...**
استنفذتم كل ما جهدكم من قوة ومكر وعنادة!...
انطقوا، أيها الكلاب!...
جئتم لتلعقوا الحذاء!...
تكلموا، أيها اللقطاء!...
أليست أرض الله واسعة؟!...
لماذا، إذن، عدتم إلى أرضي؟!...

كنت دائما أقول لكم: من أراد الله فليذهب إلى أرضه ومن أرادني فليبق على أرضي. أليس كذلك؟!...

واليوم، هل جئتم لتعلنوا توبتكم أم تراكم جئتم لمنازلتي مرة ثانية؟!...

إذا كانت نيتكم ما دون التوبة ، فسأقطعكم أشلاء لأتعشى بكم كما فعل أسلافي من آلهة دول أخرى. أما إذا كانت نيتكم التوبة الصريحة والواضحة، فاعلموا أنني غفور رحيم ولكنني شديد البأس والبطش بالمنافقين!...

واعلموا، أيها التائبون، أن باب التوبة يمر عبر تقدمكم إليّ زاحفين على بطونكم للعق حذائي فردة فردة...

ولسوف أنتهز هذه الفرصة لأحذركم من عواقب ترك أثر للعابكم على جلد حذائي. إن أشدّ ما أكره المنافقون الذين يلعقون الأحذية وهم يبصقون عليها!...

أرأيتم سعة خبرتي بالمنافقين؟!...

فباسمي الأعظم، لأن فعل أحدكم ذلك، لأعلقنه من دبره على قوس النصر في مدخل المدينة!...

مفهوم؟...

إذن، تقدموا والعقوا!"...

بتاريخ: 12 نونبر 2007

مباراة شغل خاصة بالمتفوقين

"الترقيات، على أنواعها الستة، لا يزال الإنسان يسعى وراءها ما لم يعترضه مانع غالب بسلب إرادته. وهذا المانع إما هو القدر المحتوم، المسمى عند البعض بالعجز الطبيعي، أو هو الاستبداد المشؤوم. على أن القدر قد يصدم سير الترقي لمحة ثم يطلقه فيكرّ راقيا. وأما الاستبداد فإنه يقلب السير من الترقي إلى الانحطاط من التقدم إلى التأخر، من النماء إلى الفناء..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 116

إعلان عن مباراة:

يعلن مركز "**خاء راء**" عن تنظير مباراة خاصة بالكفاءات الوطنية المتخرجة هذه السنة الدراسية من إحدى المعاهد والجامعات المحددة أسفله والحاصلين على ميزة "**حسن جدا**" أو أعلى.

المباراة ستجري بمقر مركز"**خاء راء**" على العنوان التالي خلف القصر الرئاسي وفق منهج عملي تطبيقي حديث يرتكز على المقابلة الشفهية فحسب باعتماد لائحة أسئلة "**نعم/لا**" بحيث يدمج المتباري الناجح إثرها في سلك الشغل المتباري عليه.

آخر أجل لإيداع ملفات الترشيح هو مساء هذا اليوم على أن تبدأ المباراة غدا صباحا ليعين الناجحون رسميا في مناصبهم مباشرة بعد الزوال.

في ممر غرف الامتحانات الشفهية:

الخوف عارم بين المتبارين المتحلقين حول الباب: ما يجري وراء الباب لا يصل سمعهم وثقب باب الغرفة الأولى لا يظهر شيئا كما أن المتباري الذي يدخل من هذه الباب تفتح له باب ثانية ليخرج منها إلى الجهة الأخرى، جارّاً معه أسرار الغرفة وأسئلتها...

المجموعة الأولى من الأسئلة داخل الغرفة الأولى:

- هل أنت مستعد نفسيا للشروع في الأمر؟
- بكل تأكيد.
- لا تتفاجأ، فالأمر لا يتعلق بالإجابة الشفوية عن سؤال شفوي، بل بالتجاوب ايجابيا مع صيغة أمر غير قابل للنقاش.
- حاضر.
- ألا زلت جاهزا؟
- بكل تأكيد.
- إذن، ردد هذه الكلمة ورائي: "**أنا كلب!**"
- ولكنني لست كلبا! أنا طالب متفوق بشهادة معترف بها و...
- قل "**أنا كلب!**"...
- ولكنني...
- لا زالت لك فرصة أخيرة: قل "**أنا كلب!**"
- **أنا كلب!**...
- تهاني الحارة لك بمناسبة مرورك إلى المجموعة الثانية من الأسئلة في الغرفة المجاورة. تفضل!

المجموعة الثانية من الأسئلة داخل الغرفة الثانية:

- هل أنت مستعد للاختبار؟
- نعم.
- يبدو أنك تجاوزت الحاجز النفسي في الغرفة الأولى؟
- ممكن.
- ألا زلت جاهزا؟
- بكل تأكيد.
- قل: "**أنا كلب أليف مع سيدي الذي يعطيني اللحم والعظم**"!
- "**أنا كلب أليف مع سيدي الذي يعطيني اللحم والعظم**"!
- ألف مبروك مرورك إلى المجموعة الثالثة من الأسئلة في الغرفة الثالثة. تفضل!

المجموعة الثالثة من الأسئلة داخل الغرفة الثالثة:

- جاهز؟
- نعم.
- قل: "**أنا كلب شرس حين يُطلب مني تمزيق خصوم سيدي**"!
- "**أنا كلب شرس حين يُطلب مني تمزيق خصوم سيدي**"!
- يسرني أن أزف إليك قرار مرورك إلى المرحلة ما قبل الأخيرة في المباراة في الغرفة الرابعة على اليمين. حظ سعيد!

<u>المجموعة الرابعة من الأسئلة داخل الغرفة الرابعة:</u>

- جاهز؟
- نعم.
- اثبت أنك كلب يمشي على رجليه ويديه ويعوي أو ينبح...
- حاضر.

(يمشي على رجليه ويديه وهو يعوي)

- تهاني الحارة! لقد تفوقت في كل المراحل وهذه شهادة تنجيحك في المباراة وهذه وثيقة تعيينك في منصبك. ألف مبروك! ودام لك التفوق والنبوغ! تفضل، إلى قاعة الحفلات!...

<u>حفل النجاح في قاعة الحفلات، عند الزوال:</u>

الجوقة الموسيقية تعزف:

"وحياة قلبي وأفراحه
وأنا في مسا وصباحه
ما لقيت فرحان في الدنيا
زي الفرحان بنجاحه"...

يلتحق الجميع بالجوقة، إدارة وأساتذة و"**مُنَجَّحِينَ**"، في كورال جماعي كبير:

"الناجح يرفع يدو
نغني في عيدنا وعيده
ونجاحنا يدوم دوما
دوما على طول، دوما
دوما على طول، دوما
دوما، دوما، دوما
هيه!"...

<u>مُبَاشَرَةُ سِلْكِ الوظيفة، مُبَاشَرَةً بَعْدَ فُسْحَةِ الزَّوَالِ:</u>

ستعد، كل يوم، مقالا مكتوبا باسمك وترفقه بصورتك. اكتب أي شيء يخطر على بالك، فالكاتب هو كل من كتب شيئا على الورق. أما مضمون ذلك الشيء المكتوب، فغير ذي قيمة. المهم، هو أن يكون لك عمود في الصفحة الأولى من ثلاثمائة كلمة يوميا، وأن يتعود الناس على ظهورك الذي سيسمونه حضورا، وأن تقتحم عالم النخبة...

المال؟

لا تضرب حسابا لا للمال ولا للترويج ولا للمبيعات ولا لأي شيء... لا تفكر حتى في القراءة والمقروئية، فسنفرض كتاباتك على الناس بالقوة في كل مكان ك"**ضريبة وطنية**": في السوق وفي المدارس ومراكز البريد ومكاتب الماء والكهرباء...

لذلك، عليك أن تهتم بمظهرك قبل مأكلك وشربك لأن الكاميرات ستكون ضيفا يوميا على مكتبك: عليك أن تبدو نجما سينمائيا، منهمكا مشغولا. أما خارج المكتب، فستكون حاضرا على الدوام في الصفوف الأمامية لكل حلقة تحضرها نخب من عيارك وستركز عليك الكاميرا بالتناوب مع رفقائك الآخرين حتى يستأنس بك المشاهدون ويتقبلوا المهام التي ستسند إليك دون غيرك لأننا سنرسلك في بعثات للخارج لتمثلنا وتمثل الوطن...

وبهذه الطريقة، حين يعتاد الناس على صورتك وحضورك، سترتقي المناصب العليا وتصبح أكثر ظهورا. آنذاك، قدم الترشيحات إلى ما يمكن الترشح إليه فلسوف تُنَجَّح كما نُجِّحْتَ اليوم، ولسوف تُقحَمُ في مراكز القرار لتساعدنا، نحن السابقون، على قول "نعم" ولتَرُدَّ بذلك الجميلَ الذي تُتَوَّجُ به اليوم في هذه المباراة التي خُصّ بها المتفوقون دون غيرهم...

سنة 2005

حملة انتخابية

"أقل ما يؤثره الاستبداد في أخلاق الناس أنه يرغم حتى الأخيار منهم على ألفة الرياء والنفاق ولبئس السيئتان، وأنه يعين الأشرار على إجراء غي نفوسهم آمنين من كل تبعة ولو أدبية. فلا اعتراض ولا انتقاد ولا افتضاح لأن أكثر أعمال الأشرار تبقى مستورة يلقي عليها الاستبداد رداء خوف الناس من تبعة الشهادة على ذي شر..."

عبد الرحمان الكواكبي

"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"

دار الشرق العربي، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 89

حكمة المجربين، قبيل الاستعدادات:

"انصتْ لنبض رجل الشارع وارتجل الحلول في الحال. وإياك وصحبة كلمة "**لا**" خلال حملتك الانتخابية. لا تعارض حتى من يعارضونك.

حَدِّدْ مخاطبيك بعناية بحيث يكونوا "**كتلا**" وليس "**أفرادا**" وواظبْ، طيلة الحملة الانتخابية، على استقبال كتلة من الكتلة الوازنة. التعامل مع الكتل أيسر وأكثر فعالية من التعامل مع الأفراد. ركز على الكتل والتكتلات ممن يبيعون الأصوات بالجملة ولا تركز على الأفراد ممن يبيعون أصواتهم بالتقسيط.

ولا تنس بأن الأهداف بين الناخبين والمرشحين تختلف: فبينما يريد الناخبون مجرد البقاء على قيد الحياة، يتوق المرشحون دائما لحكم من بقوا على قيد الحياة من الناخبين..."

اليوم الأول من الحملة الانتخابية:

الوسطاء: كل اقتصاد البلاد يقوم على أكتافنا. ومع ذلك، فلا وضع اعتباري لنا ولا أي شيء. نُقرِّبُ الحسناوات الجموحات من الرجال الخجولين ممن تفيض جيوبهم أوراقا نقدية، ونقرب المستثمرين ما لا تراه العين المجردة من مشاريع مربحة وفوانيس سحرية... نحن الوسيطات والوسطاء، نساء ورجال التقريب، مبعدون من الاعتراف ومن التكريم فكيف نَقترب من الصندوق يوم التصويت؟

المرشح: اقتربوا من الصندوق وصَوِّتوا عَلَيَّ في اليوم الموعود وسأقوم أنا، بعد ذلك، بتقريبكم مني ومن الجميع...

اليوم الثاني من الحملة الانتخابية:

المنكوبون: هنا، نعيش. هنا، رأينا النور وتزوجنا وأنجبنا كل هؤلاء الأطفال. هنا نعيش، في هذه المجامر الكبيرة التي يسميها غيرنا "**كارْيانات**". اليوم، نحن نريد الترخيص لنا ببناء مساكن لائقة في أحياء لائقة. لا نطلب بيوتا جاهزة ولا مساعدة مالية من أبناك. نريد فقط الترخيص بالبناء.

المرشح: حسنا، اذهبوا وابنوا حيثما شئتم.

المنكوبون: لكن المدينة امتلأت عن بكرة أبيها ولا مكان لنا فيها؟...

المرشح: ألم يتبق في المدينة ساحات عمومية ونقط مفترق الطرق وكورنيشات وبولفارات؟... اذهبوا وابنوا بيوتكم فيها وعليها وبجوارها وأنا الضامن.
المنكوبون: وكيف نبني في فضاءات يحرم علينا حتى رمي أعقاب السجائر فيها؟!...
المرشح: أنا أقول لكم اذهبوا وابنوا مساكنكم فيها كيفما تشاؤون. ابنوا بيوتكم فيها بأي شكل تحبون: بشكل أفقي أو عمودي أو مائل. ابنوا على عتبات بيوت أعدائي وخصومي وأتباع أعدائي وخصومي وهم نيام حتى إذا ما استيقظوا وجدوا أنفسهم في قبور بلا أبواب. وبذلك، تكونون قد ربحتم بيوتا في حلق من لم يخدمكم خلال ولاياتهم وأكون قد تخلصت من منافستهم وإزعاجهم... وموعدنا اليوم الأخير من الحملة الانتخابية لأسمع منكم الكلمة الأخيرة وتسمعوا مني القرار الأخير...

<u>اليوم الثالث من الحملة الانتخابية:</u>
المشعوذون: ضُيِّقَ علينا الخناق وصرنا نطارد حتى داخل بيوتنا واتهمنا بالردة والكفر والشرك والوثنية وعبادة الجن والشياطين... ونحن، اليوم، على استعداد لمقايضة أصواتنا باسترجاع حقوقنا وكرامتنا وعلانية شعائرنا ومشروعية عملنا وتجارتنا...
المرشح: لكم ما طلبتم ولي أصواتكم وموعدنا اليوم الأخير من الحملة الانتخابية لأسمع منكم الكلمة الأخيرة وتسمعوا مني القرار الأخير...

<u>اليوم الرابع من الحملة الانتخابية:</u>
القتلة: قُدِّرَ علينا أن نرتكب جريمة قتل في يوم من الأيام لدافع من الدوافع وأدينا الثمن سجنا لأكثر من ربع قرن. وعند الإفراج عنا بعفو رئاسي، بعد كل هذا العقاب وضياع كل هذه السنين من العمر، لا زال المجتمع ينفر منا...
المرشح: أنتم ستشتغلون معي. وعليه، سيصبح مصيرنا، نحن الاثنين، واحد سواء قبل الانتخابات أو بعدها...
القتلة: وما طبيعة العمل المطلوب منا القيام به، الآن، في عز الحملة الانتخابية؟!...
المرشح: ستُصَفُّونَ خصومي السياسيين جسديا كي أبقى المرشح الوحيد بعدما تم إغلاق ملف الترشيحات والتزكيات ولم تبق فرصة لأحد خارج دائرة المستفيدين ممن ينافسونني...

<u>اليوم الخامس من الحملة الانتخابية:</u>
الفلاحون: نغذي ونشبع المواطنين ولا من يلتفت لنا ولا حتى لخسائرنا. خسرنا ونخسر دائما في زراعتنا وغلاتنا والقروض تلتهم أراضينا ومساكننا وتقذف بنا للتشرد سنة بعد سنة، عائلة بعد عائلة...
المرشح: كيف؟ ألم تجربوا الحل السحري؟ ألم تجربوا زراعة **القنب الهندي**؟!...
الفلاحون: ومن سيتركنا نزرع **القنب الهندي**؟!...
المرشح: ازرعوا الحشيش ونوعوا غلاتكم كي ترتاح الأرض وراوحوا بين زراعة **القنب الهندي** هذه السنة وزراعة **الأفيون** في السنة القادمة وزراعة **الكوكا** في السنة الثالثة. ازرعوا الحشيش فلكم فيها التعويض عن السابق واللاحق من الخسائر ولكم فيها الأرباح تلو الأرباح. وموعدنا اليوم الأخير من الحملة الانتخابية لأسمع منكم الكلمة الأخيرة وتسمعوا مني القرار الأخير...

<u>اليوم السادس من الحملة الانتخابية:</u>

العاطلون: جيلنا جيل الشباب الضائع. نحن ضائعون. لا عمل لنا ولا رأس مال نتحرك به ولا أي شيء...
المرشح: ولكن يكفيكم أن تمدوا أيديكم ليأتيكم رأس المال!...
العاطلون: في أي اتجاه سنمد أيدينا وإلى من؟!...
المرشح: اخرجوا ليلا وتطوعوا لتخليص المدينة من الكلاب والقطط الضالة بقتلها. وستندهشون لتلقيكم المقابل المادي لقاء عملكم التطوعي هذا في الحال. فقد كانت الكلاب والقطط الضالة دائما رأس مالكم وأنتم لا تعلمون. اقتلوها واطحنوها واصنعوا بها الكفتة والنقانق وبيعوها للمطاعم والجزارين وانتعشوا ماديا ومعنويا. وإذا ما صوتم عَلَيَّ، فسأكون الضامنَ لدوام تجارتكم ونموّ رساميلكم وأرباحكم واستثماراتكم. وموعدنا اليوم الأخير من الحملة الانتخابية لأسمع منكم الكلمة الأخيرة وتسمعوا مني القرار الأخير...

اليوم السابع من الحملة الانتخابية:
اللصوص: لا أرض تقبلنا ولا مناسبة ترحب بنا: لا الأعياد ولا الحفلات. لا أحد يتقبل طريقة كسبنا لقوتنا ورزقنا!...
المرشح: صوتوا علي وسأجعل الجميع يتقبلكم ويتفهمكم...
اللصوص: ولكننا نشتغل في مجال المُحرَم من قبل كل الشرائع والقوانين والتشريعات الدنيوية والأخروية...
المرشح: صوتوا علي وستصبح السرقة، بقوة القانون الذي يحول الأمور إلى عرف ومنطق، حلالا مباركا. فالقانون لا يحمي المغفلين. كما أن من لا يستحق شيئا، يجب ألا يحتفظ به وإنما عليه تسهيل نقله أو انتقاله إلى من يستحقه. وبذلك، يُحَرَم عليه ما لا يستحقه ويُحلل على منتزعه لأن الحق "**ينتزع ولا يعطى**". وبعد التصويت عَلَيَّ، ستستبدل كلمة "**السرقة**" بكلمة "**استرجاع الحقوق**" و"**إعادة توزيع الملكيات**". كما ستستبدل كلمة "**السارق**" و"**اللص**" بكلمة "**المناضل**"...

اليوم الثامن من الحملة الانتخابية:
المومسات: نحن منبوذات في هذا المجتمع ولا قيمة لأصواتنا...
المرشح: بل لأصواتكن قيمة ولحضوركن وزن ولوجودكن ضرورة... يكفيكن أن تنظمن أنفسكن في شبكات وتتعاونن على إنجاحها فالتعاون قوة. ويكفيكن التعاون معي في حملتي بتعليق صورتي على مؤخراتكن وأنتن تَجُبْنَ الشوارع الرئيسية بالمدينة والصاق شعاري على جبهاتكن وأنتن تفاوضن زبناءكن. فإذا ما فزت بالانتخابات، أدمجتكن في المجتمع وَطبَّعْتُهُ معكن. وموعدنا اليوم الأخير من الحملة الانتخابية لأسمع منكن الكلمة الأخيرة وتسمعن مني القرار الأخير...

اليوم التاسع من الحملة الانتخابية:
المثليون: نحن نُطَارَدُ في كل مكان ومن قبل الجميع، شرطة ورجال دين ومومسات...
المرشح: اعطوني أصواتكم واعطوا ظهوركم بعد ذلك لمن يرغب ركوبها من زبنائكم فلا تخشوا بذلك لومة لائم إذ سأصبح، بموجب تعاقدنا هذا، **حامي ظهوركم وضامن سلامة زبنائكم**...

اليوم العاشر من الحملة الانتخابية:
الشاطر: أريد الزواج من ابنتك، أيها المرشح...

المرشح: أوّلا يمكن للمواطن الزواج من ابنة مواطنه المرشح للانتخابات؟ خُذهَا وكَرّ فأنت حُرٌّ. مهر ابنتي هو مليون صوت قبل انتهاء الحملة الانتخابية.
الشاطر: لكن رفقا بي، أيها المرشح!...
المرشح: أيهما تفضل: مليون صوت في هذه المناسبة، عيد الانتخابات؟ أم مليون ناقة في مناسبة عيد الأضحى؟ أم مليون قفطان مغربي مرصع بالزمرد واللؤلؤ والفيروز والمرجان في عيد الفطر؟...
الشاطر: أنا أقترح مليون سنتيم كمهر أنت في غنى عن قيمته المادية، أيها المرشح...
المرشح: المليون سنتيم التي تقترحها مَهْراً لابنتي الوحيدة، أنا الآن أطي منها الآلاف لمصوتين لا أعرفهم ولا أفكر في الدخول بهم أو مضاجعتهم. أنا أعطيها لهم فقط ليصوتوا علَيَّ دون تطاولي على عذريتهم وشرفهم وكرامتهم... أما أنت، فلسوف تدفع مليون صوت لقاء ابنة المرشح الوحيدة للدخول بها ومواقعتها. أتسمع؟ ابنة المرشح الذي سيصبح برلمانيا ثم رئيسا للحكومة ثم رئيسا للبلاد. وستصبح أنت بالتالي مرتبطا بعلاقة مصاهرة مع رجل يطل برأسه عما قريب على الكعبة المشرفة من أعلى هرم السلطة في هذه البلاد دون الحاجة إلى الحج إليها سياقة أو سباحة أو طيرانا...

توقعات الحصاد:

- أشعر وكأنني تكلمت لمدة أسبوع أو أسبوعين دون انقطاع. العياء يكتسحني. الإرهاق يتملكني...
- بل تكلمت لمدة أسبوعين وقابلت خلالها كل التكتلات واللوبيات والعصابات والمافيات والقوى الضاغطة والقوى السائرة في طريق الضغط.. واليوم هو اليوم الأخير من عمر الحملة الانتخابية. وخارج بيتك قطعت المواصلات والتجوال والحركة بكافة أنواعها. فلقد حج الناس إلى عتبة بيتك لمبايعتك طبقا للوعد الذي قطعته على نفسك وإياهم...
- ألا تشم في الأمر رائحة التمثيل والادعاء؟
- بل أشم في الأمر إحساسا بالاعتراف بكفاءتك وقدراتك من خلال مهارتك في الخطابة والإقناع وهالة الكاريزما التي لا تفارقك...
- ولكن خصومي أقوياء وقواعدهم الانتخابية كبيرة ونفوذهم أكبر!...
- آخر الأخبار تتحدث عن أشكال غامضة من الموت والانتحار والاغتيال تعرض لها كل منافسيك السياسيين خلال الحملة الانتخابية ولم يبق من الوجوه الانتخابية أحد غيرك وحظوظك في الفوز مطلقة وأكيدة...
- أحقا ما تقوله؟ هل فعلها العفاريت؟!...
- رحلة الألف ميل بدأت ولن يكون بمقدور الحواجز والعوائق إيقافها...
- وما هذه الموجة الصوتية التي بدأت تصل مسامعي الآن؟!...
- إنها الشعارات.
- هو الحلم وقد بدأ يتحقق قبل اليقظة!...
- هلا خرجت إليهم لتحيتهم؟!...
- حسنا، اخرج إليهم أنت وحيهم مكاني وقل لهم بأنني على عهدي ثابت وبأن النتائج غدا هي المحك واتركني أنتشي بنجاحي المسبق من خلال هذه الشعارات الحماسية وهذا الجو الفردوسي الحالم...

إنا وإن طال الزمان * لا بد يوما ننتصر**
مرشحنا سيد البشير * هو رمز التحرير...**

بتاريخ: 14 يناير 2011

تصفيقات

"الاستبداد يسلب الراحة الفكرية فيضني الأجسام فوق ضناها بالشقاء، فتمرض العقول ويختل الشعور على درجات متفاوتة في الناس..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص:86

داخل القاعة المحتشدة، رفعت المنصة أقصى ما يمكن رفعه بوضع منبر فوق منبر فوق منبر...

ارتفاع المنصة جعل كراسي الحضور تبدو كأحجار رست بعد طول تَدَحْرُج إلى قعر الوادي...

الحضور على الكراسي في قصر القاعة تبدو لمن يقف عند المنبر الأعلى كالسلاحف يزحفون...

سكوت الحاضرين الراسين على الكراسي في قعر القاعة يبدو لمن يقف عند المنبر الأعلى انبهارا بجلال حضوره وعظمة تكوينه وعلو شأنه...

على أرضية القاعة، وقف رجل بلباس رسمي يولي ظهره للمنابر المتصاعدة نحو السماء ويقابل الجمهور بعودين رفيعين بين إبهاميه وسبابتيه، على طريقة "**المايسترو**"، لتسيير الجوقة الكبيرة من الحاضرين بإشارات تفهمها اللجان المنتشرة بين الجمهور لتوزع بدورها الإشارة الملتقطة من المايسترو إلى عموم الحاضرين...

الحقيقة، أن الجمهور لم يكن بحاجة إلى لجان شعبية وسيطة بينه وبين "**المايسترو**" الذي لا يقوم بأكثر من حركة واحدة تعني "**تصفيق**" أو "**صفقوا لي**": حركة واحدة تتكرر وتتكرر. وربما، لم يكن الجمهور بحاجة إلى "**مايسترو**" بتاتا مادام العظيم الذي يخطب من أعلى المنابر ينطق بكلمة واحدة ثم يصمت كي يسمع التصفيق قبل أن يتلفظ بالكلمة بالموالية:
-"**إنني**" ...

تصفيق...

- "**أنا**" ...

تصفيق...

- "**ربكم**"...

تصفيق..

- "**الأعلى**"...

تصفيق..

في البداية، كانت تسمع "**كلمة**" العظيم متبوعة بتصفيق الجمهور...

ثم بدأت تسمع كلمات العظيم يطغى عليها تصفيق الأقزام...

ثم فقد التصفيق تقطعه فلم تعد تسمع كلمات العظيم...

ثم بدا التصفيق وكأنه لا يبدأ ولا ينتهي...

ثم حلت محل كلمات العظيم ضحكة تائهة هنا في مكان ما بين تصفيق المصفقين...

ثم ضحكة تائهة هناك...

ثم ضحكات صاخبة هنالك...

فقفزت اللجان الشعبية المندسة بين الناس لتكبل "**الضاحكين**" من الجمهور وتجرجرهم من مقاعدهم بين صفوف الأقزام من الحضور إلى خارج القاعة التي لم يتوقف فيها العظيم عن الكلام كما لم يتوقف فيها المايسترو عن إعطاء إشارات التصفيق ولم تتوقف اللجان الشعبية عن تحميس الحضور للتصفيق بحرارة من قطع عليه الماء في الحمام العمومي.

في المخفر، سئل المتهمون بالضحك عن سبب ضحكهم:

- لماذا تضحكون والعظيم يخطب
- نسينا أن نضحك في البداية فاستدركنا الأمر في المنتصف.
- ولماذا الضحك؟
- لأننا نصفق.
- وما العلاقة بين الضحك المتهور والتصفيق على خطاب العظيم؟
- التصفيق والضحك لا ينفصلان، يا سيدي الضابط!

بتاريخ: 08 أكتوبر 2010

"عَبْزَفْ"، اَلْقِرْدُ الهَجَّاءُ

إلى كاتب مغمور فكر في تجريب الكتابة في السنة الرابعة التي تسبق تقاعده وموته. وحين لم تسعفه العبارة، فكر في تجريب مونولوج ينفتح فيه على ذاته فقابل المِرْآة حيث هالته دمامة خلقته بوجهه الكالح وجبهته التي تمتد من فوق حاجبيه مُنزلقة نحو ظهره على متن صلعة لزجة تصل الوجه بالقفا. وبدل أن يهجو صُورتهُ، كما فعل سلفه "**الحُطيئة**"، حَوَّلَ عدائيته وعدوانيته نحو ضمائر الأمم ومشاعل الشعوب، نحو الفنانين والمثقفين.

في المحطة الطرقية، لم يكن ثمة ما يثير نظر المسافرين بعد العلامات المحددة لاتجاه الحافلات أكثر من منظر هذا القرد البئيس الذي يجره من عنقه رجل أكثر بؤسا رغم أريحيته الظاهرة في الجواب على كل أسئلة الفضوليين:

- إلى أين تجرّ هذا القرد المسكين، يا رجل؟
- إلى **مراكش** حيث سيُعْلَنُ اليوم مساءً عن ميلاد "**جمعية اتحاد هجائي جامع الفنا**"، وهي جمعية تضم هجائين من كل الأنواع الحيوانية من بشر وقرود وغيرهما. وستحظى هذه الجمعية بدعم مالي ومعنوي من الدولة مباشرة بعد منتصف الليل...
- وكيف عرفت أن قردك سيقبل كعضو مؤسس في الجمعية قبل وصوله إلى **مراكش**؟ ماذا لو حدث ما لم يَدُرْ بخلدك واستقبله الأعضاء المؤسسون بإيماءة واحدة فأحبطوه كما تُحْبَطُ القنابلُ الموقوتة أو لاقوه بكلمة واحدة فحنّطوه كما تُحَنَّطُ التماسيحُ والأفاعي؟!...
- إنه قرد هَجّاء وأنا واثق من قبوله عضوا مؤسسا ونائبا لرئيس الجمعية قبل حتى وصول الحافلة التي ستُقِلُّنا معا!...
- وما مواضيع هجائه؟
- الفنانون والمثقفون...
- والسياسيون والطغاة والمستبدون، ألا يدخلون في دائرة سِهامه؟!...
- القرود لا تفقه في السياسة كيْ تهجو السياسيين فضلا عن كونها تخشى العقاب. السياسيون شرسون وعَضُّهم لا يبرأ والقرود تعرف هذا. أما المثقفون والفنانون فلا أنياب لهم. لذلك، كان الهجوم عليهم سهْلا وآمنا.
- هل يمكنني حضور "**بروفة**" من "**بروفات**" هجائه؟
- بكل سرور. عليك فقط ألا تتفاجا بقدرة القرد على النطق بمقطعين لغويين أو أكثر دفعة واحدة...

تملكت السعادة ربّ القرد الذي أخرج من قرْبَتِهِ السّوط قبل أن يفك وثاق القرد، راسما بضربات سوطه على الأرض حدودا لتحركات القرد في عروضه.

مسح ربُّ القرد شعره ثم جذبه بقوةإلى الخلف حتى تمططت جبهته وطالت صلعته فصاح القرد:

- "**السوبرمان**"!

ثم وضع ربُّ القرد إبهاميه وسبابتيه حول عينيه راسما دائرتين فصاح القرد:

- "**الكناوي**"!

قاطع الرجلُ السائلُ سيولة العرض القِرْدِي، موجها السؤال للقرد الممثل مباشرة:

- أفهم أن هذه ألقاب تطلقها على فنانين ومثقفين إما صُلع أو لهُمْ نظارات. لكن، أنت، أيها القرد الهجّاء، بهذه الصّلعة المُنْفِرَةِ و هذا الوجه الذميم، ما اسمك؟

- أنا "**عَبْزَفْ**"!

استدار الرجل نحو ربِّ القرد، مستفسراً:

- هل هذا هو اسمه، "**عَبْزَفْ**"؟!

أوما ربُّ القرْدِ بإيجاب استفز السائل الذي بدأ احتجاجه على تسمية حيوان باسم مُهين:

- هذا إجحاف في حق القُرُودِ والقِرَدَةِ. أليس من حق القرْد أن يستفيد من اسم مقبول، على الأقل كأسماء الكلاب: **بوبي، ديك، دوغي**؟ أنا، شخصيا، أشعر بالاشمئزاز من هذا الاسم!...

- كيف تشعر بالاشمنزاز من "**عَبْزَفْ**" كاسم مرشح لنيل جوائز هذا الأسبوع؟

- الجوائز على ماذا؟ على هجاء الفنانين والمثقفين؟!...

تأفف الرجل الذي بدا نادما على اليوم الذي لاقى فيه قردين ينتميان إلى نوعين من الأحياء:

- إذا كانت الجوائز مُستَسْهَلَةً إلى هذه الدرجة، فاليقين الذي بدأ يتشكل أمامي الآن هو أن "**عَبْزَفْ**" ليس فقط اسم فرْد أوْ قِرْد وإنما هو علامة ثقافة جديدة تنخر العظام في صمت وتستشري في الدماء في غفلة من الأحياء الذين سيجدون أنفسهم ذات صباح قِرَدَةً خاسئين ينتظرون مواضيع للهجاء، وَأكُفّاً للتّصفيق، وَسِياطا لرَسْم الحدود!...

بتاريخ: 21 شتنبر 2011

نظرية الانفجار الأعظم

"بواسق العلم وما بلغ إليه تدل على أن يوم الله قريب. ذلك اليوم الذي يقل فيه التفاوت في العلم وما يفيده من القوة. وعندئذ تتكافأ القوات بين البشر فتنحل السلطة ويرتفع التغالب ويسود بين الناس العدل والتوادد فيعيشون بشرا لا شعوبا، وشركاء لا دولا. وحينئذ، يعلمون ما معنى الحياة الطيبة..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 159

في مركز الاستعلامات:

الزائر: صباح الخير, سيدي.
موظف الاستعلامات: صباح الخير.
الزائر: جئت ضيفا على بلدكم وأردت من باب إزالة اللبس على قدومي أن أقدم لكم معلومات عن شخصي وقصدي.
الموظف: حسنا، تفضل .
الزائر: أنا أستاذ باحث جئت بدعوة من عدة جامعات وجمعيات ثقافية في بلدكم لشرح نظرية "**الانفجار الأعظم**" في هذه المدن المكتوبة على هذه الدعوات .خذ البطاقات. تفضل بقراءتها. هناك التواريخ وأسماء الجامعات ومكان المحاضرات...

بعد قراءة الدعوات, نصائح الموظف:

أيها الأستاذ الكريم ,لقد قمت بعمل نبيل يشف عن بياض النية وحسن الخلق وصادق الاحترام حين قمت بهذا الإجراء : لا أحد في تاريخ السياحة ببلادنا أقدم على خطوة من هذا النوع. ولأنك الأول فسيكون جزاؤك الأمن المطلق والحماية اللامرئية خلال زيارتك لبلدنا . إنك في بلد آمن. وسترى, بدخولك البلد عبر بوابتنا، كيف نصنع الأمن والطمأنينة. وستنعم بحراسة ترافقك حتى تنام قرير العين. تفضل. خد أنت أيضا هذه الأرقام الهاتفية واتصل بي حين تشعربمضايقة أو استفزاز. سعيد بمعرفتك، أستاذ. وإقامة سعيدة.

في السفرية الأولى

ترى من هذا الرجل بنظارتين سوداوتين ومعطف قاتم وهاتف نقال لا يبارح أذنه ويهو يتعقب خطاي منذ نزولي من الحافلة؟ هل يمكن أن تنفعني أرقام صديقي في مكتب الاستعلامات؟

- ألو، أهذه العاصمة الإدارية؟ مركز الاستعلامات؟
- نعم ، سيدي ، هل هذا صوت الأستاذ الباحث في نظرية "**الانفجار الأعظم**"؟
- هو عينه...
- أهلا وسهلا، أنت في بلدك. هل من خدمة؟
- أنا أتصل بك طلبا للمساعدة : هنا شخص يبدو من أعوانكم يطاردني بلا هوادة!
- في اي مدينة أنت؟
- في مدينة "**عرب أباد**".
- في أي حي؟
- في حي"**الدهاليز**" .
- آه، ذاك "**رعد بن غضبان**". اذهب إليه مباشرة وقل له **الكلمة السرية** التالية وسينصرف لحاله. قل له: "**ما أجمل المكان!**"

في السفرية الثانية:

ترى ماذا يريد هذان المتسولان؟ لقد أعطيتهما بالتقسيط عشرين درهما لكل منهما. كلما استدرت، ووجدتهما ورائي أعطيت درهما لكل واحد منهما على أن ينصرفا. ومع ذلك، فهما لا يفارقاني. سأتصل بصديقي في مكتب الاستعلامات:

- ألو، أهذه العاصمة الإدارية؟ مركز الاستعلامات ؟
- أهلا، أستاذ؟ وصلتنا التقارير عن محاضرتك الأولى: عدد الحضور 1050 منهم 100 أستاذ(ة), 930 طالب(ة)، 10صحفيين، 10ما بين أعوان خدمة ونادلون .كلمتك استغرقت 40 دقيقة أعقبتها مداخلة الحاضرين ...
- عذرا عن المقاطعة، سيدي، التقرير صحيح لكنني أتصل بكم للاستفسار عن هوية مطاردي الجدد والغاية من مطاردتهم لي وعن سبل ثنيهم عن إزعاجي؟
- كيف تخلصت من الرجل السابق ؟
- لقد نفدت نصيحتك وقلت له : "**ما أجمل هذا البلد!**"، فابتسم ونزع نظارته وصافحني بحرارة صديق الطفولة ...
- والآن، ما المشكلة ؟
- نفس المشكلة، سيدي!...
- في أي مدينة، أنت الآن؟
- في مدينة "**ظليمات**"...
- في أي حي ؟
- في حي "**الحجاج بن يوسف الثقفي**" ...
- أنت إذن مراقب من قبل اثنين من المتسولين : "**خاي أحمد الذاكرة**" و"**ابن القطيع**".
- نعم، سيدي ، وهذا **يقلقني**...
- حسنا، قل لهما **كلمة السر** التالية وسيخليان سبيلك. قل لهما: "**الله يخلف!**" .

في السفرية الثالثة :

ترى ماذا يدور في خلد هذه المرأة الملتحفة حائكا أبيضا ولثاما أسودا، وهي تسبقني فوق السطوح المتساوية وتطل دونما رغبة أنثوية: هي تلفح ظهري بعينيها حين أنصرف وتشيح بوجهها حين ألتفت إليها. ابتعد داخل الأحياء وارفع عيني لأجدها دائما قربي هنا أو هناك أو هنالك على أحد سطوح هذه المنازل المتراكمة تراوح بين المراقبة واللامبالاة.

هل هي امرأة واحدة أم فريق متجانس من النساء يتعاقب على دور المراقبة والتَلَصُّص علي؟

هل هي امرأة فعلا؟

ربما صديقي في مركز الاستعلامات يعرف الجواب:

- ألو, هذه العاصمة الإدارية؟ مركز الاستعلامات؟

-أهلا, صديقي الأستاذ الباحث. لكننا غاضبون هذه المرة، فالتقارير التي وصلتنا عن محاضرتك الثانية فيها جملة سطرنا عليها بالأحمر. الجملة تقول بالحرف: "**إن الانفجار الأعظم ليست نظرية بل نبوة**"!...

- أعتذر، سيدي، فأنا ضيف ولست مسيرا للندوة. كما أن مداخلات الحاضرين لا سلطة لي عليها... أما الآن، فأنا مضايق. أنا الآن في مدينة "**مولاي سيدي بابا**" في حي"**الرجاء في الله**" ...

- أنت مضايق من قبل شاب متنكر في زيّ امرأة، ارفع يديك إليه، وقل له **كلمة السر** التالية:"**ديما حي!**"

نحو سلسلة من الانفجارات:

الأرض تتزلزل والمباني الفارعة تتداعى والفنادق الباذخة تتهاوى كقصور من ورق والغبار والرماد يتصاعد في كل مكان وألسنة النيران تلسع أشجار الحدائق ونخيل الشوارع والناس،كالدجاج المذعور، يجرون في كل اتجاه وبلا اتجاه... لابد أن الشيخ الواقف أمامي له رأي في الموضوع...

أرقام هواتف موظف الاستعلامات:

الرقم الهاتفي الأول :

- آلو, هذه العاصمة الإدارية؟
- ...

لا أحد يجيب.

الرقم الهاتفي الثاني :

- آلو , هذه العاصمة الاقتصادية؟
- ...

لا أحد على الخط الآخر.

الرقم الهاتفي الثالث :
- آلو, هذه العاصمة العلمية ؟
- ...

ولا أحدا!

أين ذهبوا؟!...

حوار مع أحد الشهود:
- لماذا لا تجيب الهواتف؟
- ومن سيسمعها؟ ذوي الانفجار،يا سيدي، أعلى من كل رنين!...
- ولكني أتصل بمدن أخرى!...
- ذوي الانفجار سُمِعَ في العالم بأجمعه ورَوَّعَ الدنيا بأسرها!...
- هل سمعت بانفجار أعظم من هذا؟ ...
- لم أشهد انفجارا بهذا الحجم طيلة حياتي. ليس هناك انفجار أعظم من هذا!...
- هل تريد القول بأنه "**الانفجار الأعظم**"؟
- نعم، البيغ بين **Big Bang** .

16 ماي 2003

الشياطين لا تدخل بيوت الله

"المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ويحكم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 27

والدي الطاعن في السن، الذي يقضي كل وقته غارقا في كرسي جلدي قرب عتبة الباب يسبح لله وبحمده كلما رآني شاردا غارقا في همومي، قطع تسبيحه ليغمغم لي:
- **لا قنوط في ظل رحمة الله. القنوط من الذنوب والذنوب من الشيطان!**

لا أدري سبب القنوط الذي يعتريني منذ دخولي مكتبي هذا: فلا شهية للعمل ولا شهية للكلام ولا شهية للإنصات ولا شهية لأي شيء من أي نوع...

لو اقترن هذا الإحساس الفظيع بالقنوط بيوم الاثنين، لفسرته بكونه اليوم الأول من أيام الأسبوع الطويل وبالغبن الذي ينتظرني في العمل لمدة تفوق الأسبوع بالعد الزمني النفسي. ولو اقترن بيوم الجمعة، لفسرته بكونه آخر أيام الأسبوع وآخر أيام الطاقة والقدرة على العطاء... لكنه قنوط مزمن لا يبدأ ولا ينتهي. ووجدتني لأول مرة أطرح السؤال السحري الذي يفتح أبواب السماوات ويكشف الغيب:
- **"لماذا يلازمني هذا القنوط؟"**

ثم وجدتني أتخلص رويدا رويدا من قنوطي وضجري وبدأت أشعر بالتحفز لمعرفة الأسباب وبالنشاط في البحث وأحسست بنفسي أراجع المنقولات واللوحات والألوان والأصباغ في المكتب كمن يدخله لأول مرة...

المكتب مزين ومؤثث على أيدي أخصائيين في فن التصميم والديكور صمموه على معايير علمية هدفها بعث النشاط والحيوية في نفوس الموظفين داخل المكتب، وهي الحيوية التي لم أشعر بها في يوم من الأيام على مر السنين الثلاثة عشرة

التي قضيتها بين هذه الجدران. وهذا أيضا ما يتعارض، بشكل صارخ، مع الأسس العلمية التي انطلق منها المصممون تماما كما يتعارض، من جهة أخرى، مع النتائج الإيجابية التي حققتها نفس التصاميم والديكورات في مؤسسات أخرى في مغارب الأرض ومشارقها. فلماذا يفشل هذا هنا، وهنا فقط؟!

ثم وجدتني أبحث عن الأشياء التي توجد داخل المكتب والتي لم يدرجها المصممون في حساباتهم وتصميماتهم.

أذكر أنني كنت أول من تسلم المفاتيح بعد انتهاء التصميم بل وأول من دخل المكتب. كانت الخزانة هنا بالفعل. وكان هنا هذا المكتب العريض ووراءه نفس الكرسي الدوار. وكانت طاولة الاجتماع هنا أيضا وحولها هذه الكراسي العشرة. كما كانت هنا هذه الستائر الحريرية الزرقاء والزربية التركية القرمزية. ثم إنني أذكر أنني كنت سعيدا بالمنظر والألوان والأشكال وطرق تنظيم الفضاء وتأثيثه.

الآن فقط، أشعر بتلك السعادة تعود إلي من الذاكرة لتضخ دماء جديدة من الحيوية والنشاط. ولكن ها هو القنوط يعود ثانية مع اللقطة الموالية العالقة بالذاكرة: لقطة اقتحام المدير لفضاء المكتب يتبعه من الخلف أربعة موظفين يئنون تحت ثقل أربع لوحات ضخمة لفخامة السيد الرئيس المعظم قبل أن يسمروها على الحائط بحيث اتسعت كل واحدة منها في جانب من الجدران الأربعة وربما لو كانت الجدران ألفا لحمل الموظفون ألف صورة لكي تطابق عدد وجوه المكتب وحيطانه. وبذلك، بدا السيد الرئيس في الصورة الأولى على الجدار قبالتي يقرأ، وفي الصورة الثانية على الجدار على يميني وهو يفكر، وفي الصورة الثالثة على يساري وهو يكتب، أما في الصورة الرابعة ورائي مباشرة فوق راسي بدا وهو يتواصل مع اللاأحد مقتحما الفضاء بيدين مبسوطتين...

ثم وجدتني أتساءل: هل يمكن أن تكون هذه الصور هي سبب ازمتي؟

ولكنني، على ما أذكر، أشعر بالقنوط في كل مكان من هذا العالم. أنا أشعر بالقنوط حيثما حللت وارتحلت!

هل أحمل معي الصور في مخيلتي مؤبدا بذلك معاناتي؟

هل تطاردني الصور بقدرة سحرية لا أراها ولا أستطيع البرهنة عليها؟...

كيفما كان الحال، فالوعي بالأزمة هو مفتاح حلها. وهذا بالضبط ما علي فعله: مراقبة التغيرات التي تطرأ علي في الأزمنة والأمكنة المتغيرة.

دقت الساعة منتصف النهار فارتديت معطفي وتوجهت خارجا من المكتب نحو الباب في انتظار الناقلة. وكان أول ما خطف بصري هو صورة عملاقة لفخامة السيد الرئيس المعظم متدلية من سطح عمارة مقابلة ترفرف فوق شرفات سكان العمارة الذين، على مدار السنة، لا يستمتعون بضياء النهار الذي يحبسه قماش الصورة السميك.

أخيرا، وصلت الناقلة وقد صبغ على جانبيها صورة براقة لفخامة السيد الرئيس المعظم وهو يبتسم مادا يديه لتحية شعبه الأبي. وكانت نشوة عظيمة أن أع المد والجزر الإيقاعي الذي يرقصه القنوط داخلي مع تعاقب الصور أمامي.

نزلت أمام السوق المركزي، ولما ارتفع إيقاع القنوط داخلي، رفعت عيني لأرى الرايات الوطنية ترفرف فوق رأسي وبينها سمرت صور متباينة لفخامة السيد الرئيس المعظم. طأطأت رأسي ودخلت السوق لأقتني حاجات البيت التي ينتظرها مطبخ منتصف النهار.

أمام الجزار، خطفتْ بصري صورة ضخمة معلقة في قاع الدكان قبالة الزبناء: صورة فخامة السيد الرئيس المعظم وهو يذبح خروف العيد وحاشيته تمسك بتلابيب جلبابه الأبيض.

وأمام الخضار، جذبتْ نظري صورة ضخمة معلقة في قاع الدكان قبالة الزبناء: صورة فخامة السيد الرئيس المعظم وهو في حقل تطل منه كل أنواع الخضر التي لا يجمعها لا الزمان ولا المكان.

وأمام بائع السمك، استحوذتْ على اهتمامي صورة ضخمة معلقة في قاع الدكان قبالة الزبناء: صورة فخامة السيد الرئيس المعظم وهو فوق الصخور المحاذية للبحر يظهر للكاميرا صيده الثمين، سمكة كبيرة تتلوى من خيط قصبته في الهواء.

دخلت مخدعا هاتفيا لأخبر زوجتي بنوع السمك الذي وجدته فامتصتني صورة ضخمة معلقة على جدار المخدع لفخامة السيد الرئيس المعظم وهو يتحدث في الهاتف.

في الهاتف، ذكرتني زوجتي باقتناء رواية "**ذهب مع الريح**" بعدما شاهدتها فيلما سينمائيا وأحبتها. وهذا ما يعني عودتي إلى المكتبة التي تبعد عن السوق بعشر دقائق مشيا على الأقدام. وهناك قابلت فخامة السيد الرئيس المعظم يقرأ كتابا داخل الصورة الضخمة التي علقها الكتبي بعناية قبالة زبناء المكتبة.

ولأن العطش تمكن مني، دخلت أقرب مقهى لأشرب أي شيء لكن ليس قبل فخامة السيد الرئيس المعظم الذي وجدته في صورة عظيمة فوق رؤوس الرواد يشرب من فنجان لا أدري هل كان شايا أم بُنّا أم كحولا ولكنه كان دائما يسبقني إلى كل شيء حيثما حللت وارتحلت مهما غيرت اتجاهاتي...

الآن، صدى آذان الظهر يدوي في كل مكان.

وضعت حذائي ومحفظتي وسلة مشترياتي عند باب المسجد واستقمت لأداء تحية المسجد ولكن إحساسا غريبا تملكني فجأة.

لم أعد قانطا.

لا أحس بأي شكل من أشكال الضجر والقنوط والسأم والملل.

ثم وجدتني كالمجنون أحملق في جدران المسجد بحثا عن صورة لفخامة السيد الرئيس المعظم.

أصوب نظري ذات اليمين...
ذات الشمال...
إلى الأمام...
إلى الخلف...
إلى الأعلى...
إلى الأسفل...

انتبه أحد المصلين إلى نظراتي وحركاتي المجنونة فاقترب مني وربت على كتفي وهو يهمس مطمئنا:
- لا تقلق، يا سيدي، فالشياطين لا تدخل بيوت الله!

21 يناير 2011

صدمة القزم: الوعي بالذات

"فاقد الحرية لا أنانية له لأنه ميت بالنسبة لنفسه، حي بالنسبة لغيره. كأنه لا شيء في ذاته، إنما هو شيء بالإضافة. ومن كان وجوده في الوجود بهذه الصورة وهي الفناء في المستبدين، حُقَّ له أن لا يشعر بوظيفة شخصية فضلا عن وظيفة اجتماعية..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 110

كان صغار الأطفال، لقصر قامته، يعانقونه ويلاعبونه ويعاملونه كواحد من جيلهم. كان يلعب مع "**كل جيل جديد**" من أطفال الحي. الأطفال يكبرون وهو يلزم مكانه ينتظر الجيل القادم من صغار الصبية ليكبروا كي يلعب معهم ويؤجل وحدته وقلقه إلى ما بعد مغيب الشمس حيث تجلسه أمه على ركبتيها لتحدثه عن أبيه الراحل الذي كان "**رجلا عظيما**"، عظمة كان يقرنها دوما بالقامة فيقول لأمه:
- متى سأكبر كالناس وأصبح **عظيما** كأبي؟
- الكبر والعظمة، يا بني، قسمة ونصيب. من الناس من يأخذها بالتدريج كأصدقائك ومنهم من يأخذها دفعة واحدة كما ستفعل أنت. لذلك، عليك بالانتظار!
- ولكنني أريد أن أكبر مثل أصحابي رويدا رويدا وأعاشرهم في مغامراتهم. لا أريد أن أبقى طفلا لثلاثين عاما ثم ألتحق بهم دون سابق إشعار...
- لا تحزن، يا ولدي. لا تحزن...

وتمضي السنون وهو لازم مكانه وأجيال أصدقائه يكبرون ويرحلون...

في درس التربية الفنية، في حصة "**نِسَبُ الأجْسَام**"، أخرجه أستاذ المادة لمقارنته بزميله، قائلا وهو يضع يده على رأس زميله:
- نسب **الجسم العادي** هي سبعة ونصف بحساب الكف كوحدة قياس.

ثم ناقلا يده إلى رأسه:
- أما **الأقزام**، فليست لهم نسب يعتد بها في القياسات الفنية لكن الأجزاء الطاغية في الكبر على حساب باقي الأجزاء الأخرى فهي الرأس والكفين والقدمين...

كاد **القزم** أن يغمى عليه:
- هل أنا **قزم**؟ هل سأبقى هكذا؟!...

في البيت، ألحّ على رؤية صورة أبيه.

تسنى له ذلك بعد جهد جهيد ناورت خلاله الأم وراوغت لكنها أخيرا أخرجت الصورة ووضعتها بين يديه: صورة **أبيه القزم** وهو يعانق في حفل زفافه **أمه القزمة**.

كاد **القزم** أن ينهار على الأرض:
- اين أبي **العظيم**، يا أمي؟
- **العظمة** ليست في الطول والحجم، يا بني. **العظمة** في العطاء والحضور!...
- أين سأحضر بهذه القامة وماذا سأعطي؟!...
- الأجسام، يا ولدي، هي مجرد **"لباس عمل"** أو **"وزرة"**. الأجسام ليست غاية. إنها وسيلة لأداء مهمة في هذه الحياة. كل الأحياء أجسادهم هي مجرد **"لباس عمل"**، **"وزرة"** أما داخل اللباس فنتساوى جميعا: بشرا وأسودا ودلافين وثعابين وورودا وأشجارا...

لكن القناعة كانت تقف على خلاف مع **القزم**:
- لماذا ولدتماني وأنتما مجرد **قزمَيْن**؟ لماذا؟!...
- كل الأحياء تلد وكل الأحياء تعيش حياتها وتؤبدها في نسلها. الطوال يخلدون الطول والقصار يخلدون القصر والبيض يخلدون البياض والسمر يخلدون السمرة...
- ولكن لماذا اخترتموني أنا من بين كل العالمين كي تُخَلّدُوا فيَ **قزميتكم**...

هرب **القزم** من البيت.

تحت فعل الغضب، لم ينتبه إلا بعد سنة من التيه في مدن البلاد وبواديها فوجد نفسه يمشي دون أن تلمس أصابع يديه الأرض فانحنى فوجد سرواله الطويل قد ارتفع إلى مستوى الركبة وانتبه إلى جدعه فوجده قد تراجع عن طوله لفائدة أطرافه السفلى وأطل على زجاج سيارة قريبة فوجد حجم رأسه متناسقا مع باقي جسمه المنعكس على الزجاج فتملكه الشوق للذهاب إلى المرآة حيث كانت فرصته عارمة إذ لم يصدق عينيه فظل ينظر خلفه للتأكد من أنه هو ذاته على الواجهتين...

تذكر القاعدة التشكيلية: حجم الطفل يساوي خمس وحدات وحجم الإنسان البالغ يساوي سبع وحدات ونصف، باعتماد الكف كوحدة قياس. أما **القزم** فلا يخضع لقياس. وتذكر بأن وحدة القياس كانت عند الفراعنة هي البوصة ثم صارت في عهد النهضة الأوربية هي الكف والتي بتغير حجمها، تتغير أحجام الأجساد.

أمام المرآة، أشهر كفه وبدأ يقيس جسده فوجد سبع وحدات ونصف. لقد خدعته أمه طوال حياته بأنه سيكبر ذات يوم ويصبح **عظيما** كأمه، فهل تخدعه هذه المرآة للبقية الباقية من العمر؟!

تملكه شعور بضرورة التأكد من الأمر من أفواه غيره من الناس لكن سرعان ما أدرك سخرية الموقف عندما سيقف أمام الناس ليسألهم: "**ألازلتم ترونني قزما؟**"...

فكرة ساذجة.

لا بد من تغيير الاتجاه.

فكر في الذهاب للشارع الرئيسي ومجاراة المارة لمقارنة حجمه بأحجامهم.

قضى يومه يصول ويجول في الشوارع المكتظة بالمارة يقارن نفسه بغيره حتى تبددت شكوكه وانفتحت عيناه على واقعه الجديد:

- "**الهجرة كانت الدواء!**"

ثم بصوت عال:

- "لقد صرت **عظيما!** أخيرا صِرْتُ **عظيما!**"

هكذا صاح وهو جالس على الدكة في الحديقة العمومية دون أن ينتبه إلى الرجل الجالس بجانبه الذي بدأ يقارن لباسه بلباسه وملامحه بملامحه:

- بماذا صرت **عظيما؟!**
- بتغيري، بتطوري، بارتقائي سلم التطور...
- هل وضعت يدك على كنز نفيس؟
- لا.
- هل تزوجت سيدة ذات جاه؟
- لا.
- هل استطعت التسلق ورئاسة قبيلة أو جمعية أو منظمة أو حزب؟...
- لا.
- أنت، إذن، لازلت **قزما!**
- كلا، كنت **قزما** فيما مضى. أما الآن، فقد تطورت.
- ستبقى **قزما** إلى حين انتزاعك مفتاحا من المفاتيح الثلاثة: **المال والجاه والقبيلة.**

نهض الرجل وضاع بين المارة تاركا إياه يفكر مرة أخرى أن لكل سلالة **أقزامها** وأن الأحجام ليست معيارا للعظمة. وبدأ يفكر في هجرة ثانية يصبح بعدها "**ملاكا**" لا يُقارَنُ بالبشر ولا يتخذهم مرجعا فيقطع بذلك الطريق أمام أوهام **العظمة** إلى الأبد.

18 سبتمبر2010

حذاء خاص بوجوه العظماء

إلى منتظر الزيدي

صوّبْ مسدسك الحذائيّ الذي ... جعل القرار يصوغه الشرفاءُ
لك في الفداء قصيدة أبياتها ... موزونة ما قالها الشعراءُ
لما وقفت كأن بحراً هادرا ... في ساعديك وفي جبينك ماءُ
لما نطقت كأن رعدا هائلا ... فوق الحروف وتحتهن سماءُ
لما رميت كأن من قد عُذبوا ... أحياهم الله القدير، فجاءوا
عاهد حذاءك لن يخونك عهده ... واتركهم ليعاهدوا من شاءوا
واصنع حذاء النصر وارم به الذي ... تلهو به وبقلبه الأهواءُ
قف أنت في وجه الظلوم بِفِرْدَةٍ ... بنية، فالقاذفات هُرَاءُ
وارشق بها وبخيطها الوجه الذي ... غلبت عليه ملامح بلهاءُ
أفديك من رجل تقزم عنده ... الرؤساء والكبراء والأمراءُ
ما كنت قبل اليوم أعلم موقنا ... أن الحذاء لمن أساء دواءُ
وبأن في جوف الحذاء مسدسا ... وبأن كل رصاصنا ضوضاءُ
ما كنت أعرف للحذاء فوائدا ... حتى تصدّى للذين أساءوا

غازي القصيبي

قصيدة "أسطورة الحذاء"، 15 ديسمبر 2008

في حفل توزيع جوائز التفوق الدراسي على تلامذة القسم الأول ابتدائي، وبحضور الأمهات والآباء وأولياء أمور التلاميذ، صعدت المنصة رفقة تلميذين آخرين، تحت زخات تصفيق الكبار وهتاف الصغار. تسلمت جائزتي لكنني لم أقاوم الرغبة القوية في فك الخيوط الوردية حولها وعرض مضمونها، عاليا، على الحاضرين، على طريقة المحتفلين بالفوز بكأس العالم.

كانت الجائزة كتابا تسابق، عند خروجي من قاعة الحفل، الكبار والصغار لمعرفة عنوانه وتصفحه والتبرك به بتلمس غلافه الناعم الجميل. لم يكن عنوان الكتاب غير "**نوادر العرب**" الذي قضيت ليلة الحفل ألتهم طرائفه وأضحك من كل قلبي على متاعب شخصيات محبوبة اجتمعت بين دفتي كتاب لتحتفل معي بتفوقي. وأحببت "أبا

القاسم الطنبوري" وقصته مع حذائه والمتاعب اللانهائية التي استبدت به بسبب الحذاء حتى دفعه ليصرخ بحرقة:

- **"أفقرني هذا الحذاء الملعون وألبسني الديون!"**

لكن الصرخة لم تُجْدِ نفعا أمام توالي الأزمات التي كان وراءها الحذاء دائما. لذلك، تقدم، في ختام الحكاية، إلى القاضي بطلب تبرئته رسميا من الحذاء، متوسلا:

- **"مولاي القاضي، أتقدم إليكم، وأنا في كامل قواي العقلية، بأن تكتبوا براءتي من هذا الحذاء وبراءته هو مني. فلا هو مني ولا أنا منه. كل منا بريء من صاحبه!"**

في خلوتي، تساءلتُ:

- "لماذا استسلم "**أبو القاسم الطنبوري**" لأزمته وللعنة حذائه ولم يفكر في تحويلها كسلاح قوي ضد أعدائه؟...

فكرت طويلا في الأمر لكنني لم أتوصل إلى جواب.

في تجمعاتنا المسائية الصغيرة تحت ضوء المصباح الوحيد في الحي، رويت الحكاية لأصدقائي من أطفال الحي فضحكوا من كل قلوبهم وطلبوا قراءة النص في بيوتهم مع أهاليهم وأحبوا جميعا "**أبا القاسم الطنبوري**" وصاروا، توددا، ينادونني باسمه، "**أبا القاسم الطنبوري**".

كان مجرد لقب جميل يحيل على شخصية خفيفة الظل إلى أن اكتشفت أن الأصدقاء من الصغار ينادونني ب"**أبي القاسم الطنبوري**" وهم يتفرسون حذائي. ومع مرور الأيام، صاروا أكثر غلوا. فقد أصبحوا يتحلقون حولي، على أيديهم وأرجلهم، واضعين أعينهم الصغيرة قرب حذائي مرددين:

- وا"**الطنبوري!**"
- وا"**الطنبوري!**"
- وا"**الطنبوري!**"...

كنت أجري لأفلت من مضايقاتهم لكنهم كانوا يتبعونني، على أربع، ليتحلقوا حولي كَجِراَءٍ يستهويها لون حذائي وشكل حذائي وحجم حذائي...

أحيانا، كنت أتركهم يكملون مسرحيتهم، في مرحلتها الخفيفة، لكن حين ينتقلون لمرحلة الهجوم على حذائي لنزعه من قدمي بغية التلويح به أمام الناس كقطعة أثرية نادرة، كنت أهرب من قبضتهم فلا أتوقف إلا مع خفوت هدير خطواتهم ورائي فأجلس على عتبة بيت آمن في زقاق بعيد وأسند رأسي على ذراعي المتصالبتين فوق ركبتي لأجد نفسي أتأمل حذائي بشكل مختلف...

إن التعود على الشيء يبلد الحواس ويحول دون تشكيل رؤى موضوعية أو أحكام محايد. ومع ذلك، كنت أحصر انتباهي على زوج الحذاء تحتي وأتأمل خيوطهما ولونهما وحجمهما فلا أحس بنفسي إلا وقد سافرت في الذاكرة مع أبي إلى متجر الأحذية

في مناسبة من مناسبات الأعياد السنوية لاقتناء الحذاء الذي سيصاحبني لمدة سنة كاملة. لقد كان أبي يشتري لي حذاء واحدا في السنة بمناسبة حلول العيد لكنه كان يحرص أن يكون الحذاء ذا مواصفات خاصة: أن يكون رقمه أكبر من الرقم المناسب لإعطاء قدمي فرصة النمو الطبيعي داخله في انتظار حذاء العيد القادم؛ وأن يكون الحذاء من جلد يحتمل الخياطة والترميم والترقيع...

الحقيقة أن لقب "**أبي القاسم الطنبوري**" رافقني حتى ما بعد الطفولة فقد احتج علي أحد الأصدقاء الراشدين عند اختيار اللاعبين لمنازلة خصوم فريق الحي في مباراة لكرة القدم، قائلا:
- هل ستخوض معنا هده المنازلة بحذاء "**الطنبوري**"؟!

لم أستسغ قرار فريق حيي استبدالي بلاعب ثان لمجرد كوني أرتدي حذاء غير رياضي. بل الأغرب أن اللاعب البديل خاض المباراة برجلين حافيتين!

مع الجمهور، على المدرجات، جلست أرقب عمل أرجل اللاعب البديل الحافية وأنتقل بعيني إلى واقع حذائي وفكرت من جديد في مأساة "**أبي القاسم الطنبوري**" وأزمته التي كان وراءها حذاؤه. وأصابني الرعب عند التفكير في إمكانية فتور روابط الصداقة التي تربطني بمجموعتي بسبب حذائي. فمع تكرر المشكلة، قد أطرد ليس فقط من خوض مباريات كرة القدم رفقة فريق الحي بل من المجموعة كلها وبشكل نهائي. هكذا، بدأت التفكير في شراء حذاء رياضي.

مع أول حذاء رياضي، أحسست بالفرق بين الحياة بمنطق الحذاء الرياضي والحياة بمنطق الحذاء العادي. فالحذاء العادي يلزمك الأرض أما الحذاء الرياضي فيبث في جسمك الحيوية والشباب. الحذاء العادي يجعلك رزينا بينما يجعلك الحذاء الرياضي تواقا للنشاط والمغامرة...

لم يغير الحذاء الرياضي مشيتي فحسب وإنما غيّرَ، بالتوازي، رؤيتي للحياة فصارت الحياة خفيفة وممتعة. وتغيرت أذواقي فصرت أحب الأغاني الإيقاعية السريعة وأعشق الرقص الحركي وأشارك في ارتجال الأغاني إذكاء لروح النشاط وروح الفرح وروح الشباب...

كان غيري من الناس يتساءلون عن مصدر الشباب والسعادة التي أنهل منها قوتي وحيويتي بينما الشقاء قانون مُسَلّطٌ على الجميع. أحدهم قاوم الغيرة التي تنهش غيري وعرض علي صداقته وقدم لي هدية مفتوحة: كتاب عنوانه "**الطاغية**".

قبلت صداقته وهَدِيتَهُ لكنه نادى على النادل وعرض علي شُرب فنجان قهوة على حسابه وامتدح لي الكِتاب ورفع من مقامه حتى مرتبة القداسة وتمنى أن أقرأه في حضوره.

فتحتُ الكتاب تحت دافع إرضاء طلبه ووضعته على ركبتي وأنا أتحسس قوة تركيز عينيه على الصفحات التي أقلبها وعلى الوقت الذي أقضيه مع كل صفحة وعلى حركات يدي ورجلي...

رَفعْتُ الكتاب عن ركبتي ووضعته على الطاولة واقتربت منه أكثر...

رَفعْتُ الكتاب عن الطاولة ووضعته على سَاعِديَّ..

كان الشاب يتفرسني وأنا أقرأ الكتاب وأذوب في ثناياه وأرتجف مع كل فكرة من أفكاره ويقشعر بدني مع قلب كل صفحة من صفحاته...

منذ أول هدية تلقيتها في حياتي، كتاب"**نوادر العرب**"، إلى آخر هدية، كتاب "**الطاغية**"، لم يسبق لي أن قرأت كتابا كاملا خلال جلسة قهوة؛ ولم أشعر في يوم من الأيام بنفس الشعور الغريب الذي شعرت به خلال القراءة. لقد كان شعورا يستعصي على الوصف، إنه تجربة تعاش وليس لوحة تعرض.

ربما كان إحساسا أقرب إلى الشعور بقوة عظيمة تملؤني..

ربما كان إحساسا أقرب إلى إحساس الحذاء ذاته برجل تكتسحه وتملأ فراغاته!...

تلك الليلة، استيقظت في عز النوم على فراشي على دبيب ذات القوة الغريبة التي تملكتني عند قراءة الكتاب في المقهى: قوة تكتسحني، تغمرني، تملؤني، تنفخني...

فكرت في الصّياح وطلب النجدة لكن الأهل نيام غارقون في غطيطهم وحتى ولو استيقظ أحدهم فلن يستطيع إغاثتي من نفسي، فالدبيب داخلي والخوف داخلي والأزمة داخلي...

أدركتني شمس صباح الغد المتسربة من زجاج النافذة المفتوحة متمددا على الفراش، ففتحت عيني بصعوبة ليقع بصري على الكتاب- الهدية على المنضدة قرب السرير فعاودني الشعور الغريب بالانتفاخ الغريب...

خرجت من البيت إلى المقهى حيث احتشد الأصدقاء لمناقشة موضوع على خلفية كتاب "**الطاغية**"، فاقشعر جسدي ثانية وعاودني الشعور بالانتفاخ والانتفاخ والانتفاخ...

خارج المقهي، كانت هتافات الأبواق الدعائية تطفو على الأثير فتصل إلى كل الآذان في كل مكان. الصوت المجنون خلف البوق يهتف بحلول "**الإمبراطور العظيم**" ضيفا جادت به السماء على المدينة ويدعو كافة شعراء المدينة للحضور وإلقاء قصائد مدح "**العظيم**" عند قدميه، يوم الاستقبال...

المناشير الموزعة على المارة تعيد نفس الخبر ونفس الدعوة.
اللافتات المعلقة فوق رؤوس المارة تعيد نفس الخبر ونفس الدعوة.
الملصقات على واجهات المحلات تعيد نفس الخبر ونفس الدعوة.
أعوان السلطة يكررون على مسامع المارة ويؤكدون عليهم نفس الخبر ونفس الدعوة.
نشرة الأخبار على الراديو تعيد نفس الخبر ونفس الدعوة.
نشرة الأخبار على التلفزة تعيد نفس الخبر ونفس الدعوة....

تقدمت إلى مندوبية وزارة الثقافة بهدف تقصي شروط التسجيل ضمن لائحة شعراء المدح، فلم يطلبوا مني لا سيرة ذاتية ولا سيرة غيرية. كل ما طلبوه مني هو القصيدة التي ستلقى بين يدي "**العظيم**" وقدميه لتقديمها للجنة القراءة وانتظار الموافقة عليها.

على عجل، نقلت بضع قصائد **لجرير والفرزدق والأخطل** المنتمية لوزن شعري واحد وأدمجتها في نص واحد ونسقت بينها وأجريت تعديلات طفيفة على أسماء الملوك والأمراء والوزراء الواردة فيها واستبدلتها باسم"**الإمبراطور العظيم**" ووضعت قصيدتي لدى مندوبية وزارة الثقافة مذيلة باسمي ورقم هاتفي وعنواني في وقت الزوال إلى جانب قصائد باقي النوابغ من شعراء المدح ومحترفي الحضور في المناسبات التاريخية مع الشخصيات العظيمة وانصرفت للاستعداد ليوم "**إلقاء**" القصيدة عند قدمي "**الإمبراطور العظيم**".

"**الإلقاء**" يتطلب مهارات عالية تُكتسب مع توالي الأيام وتعاقب الشهور ومرور السنين وأهمها: الثقة بالنفس والإيمان بالجهد المبذول في النص والتعود على مكان النشاط وشكل تنظيم قاعة العرض والوجوه الحاضرة وكم الحضور وغير ذلك من الشروط التي تهم المبتدئين في المجال أما النوابغ، مثلي، فيحتاجون إلى فترة راحة يستعيدون من خلالها معنوياتهم ونشاطهم ولذلك فكرت في وسيلة طفولية في التسلية تريح مخيلتي وذاكرتي من التعب الذي يلازمها وتقوي التركيز وترفع القدرة على إصابة الأهداف.

لم تكن هذه اللعبة تتطلب مني أدوات ذات شأن: مجرد وسادة وحبل وأحذية الأهل ونعالهم...

ربطت الوسادة بالحبل الذي علقته على أحد غصون الشجرة في الحديقة الخلفية للبيت ثم ابتعدت جارا سلة الأحذية والنعال بضعة أمتار قبالة الوسادة وبدأت في "**إلقاء**" الأحذية على الهدف المتدلي...

على بعد عشرة أمتار، كانت النتائج مشجعة. فمن أصل عشرين نعلا وحذاء، ثلاث أحذية فقط أخطأت طريقها نحو الهدف. لذلك، فكرت في اختبار قدرتي على إصابة الهدف من مسافة أبعد.

جمعت الأحذية والنعال ووضعتها في السلة من جديد وضاعفت المسافة التي حددتها للتمرين الأول وبدأت تداريب "**الإلقاء**"...

بدا لي أن قدراتي تتحسن مع كل تمرين إضافي. فبينما أخطأت في ثلاث محاولات من أصل عشرين في التمرين الأول على مسافة عشرة أمتار من الوسادة المعلقة على غصن الشجرة، لم أخطئ سوى في محاولة واحدة في التمرين الثاني رغم أن المسافة مضاعفة في البعد عن الهدف...

بدافع الحماس، جمعت الأحذية والنعال مرة أخرى ووضعتها في السلة ونأيت عن الهدف أقصى ما يمكنني ثم بدأت التداريب...

عند عودتي إلى البيت، كنت في أعلى معنوياتي وقد ضاعف من سعادتي علمي بقبول قصيدتي في التصفيات النهائية لقصائد المدح المقررة "**للإلقاء**" على مسامع "**الإمبراطور العظيم**".

تلك الليلة، تأخر النوم عن جفوني كثيرا حتى إذا ما غفوت استيقظت في عز الليل تحت ذات الدبيب لذات القوة الغريبة التي تملكتني عند قراءة الكتاب في المقهى وهي تكتسحني وتغمرني وتملؤني وتنفخني...

فكرت ثانية في الصياح وطلب النجدة لكنني تذكرت ألا أحد يمكنه إغاثتي من نفسي، فالدبيب داخلي والخوف داخلي والأزمة داخلي...

كالعادة، أدركتني شمس الصباح المتسربة من تحت ستائر النافذة المفتوحة وأنا لا زلت على الفراش. فتحت عيني بصعوبة ليقع بصري على الكتاب- الهدية على المنضدة قرب السرير فعاودني الشعور الغريب بالانتفاخ الغريب، شعور غريب ينسيني فطوري وغذائي وعشائي...

حملت النسخة الشمسية من قصيدة المدح وخرجت من البيت نحو مقر مندوبية الثقافة. فالدخول إلى القصر الإمبراطوري بالمدينة يمر عبر بوابة إثبات الهوية في مندوبية وزارة الثقافة ثم بالتفتيش عاريا أمام باب القصر ثم بالتفتيش بالملابس داخل القصر...

الحرس في كل مكان.

الحرس بكل الأحجام.

الحرس بكل أصناف السلاح والحيوانات.

حيثما وليت وجهك فثمة الحرس والحراس...

أمام الباب الأخير المؤدي إلى قاعة احتفال نوابغ الشعراء ب"**الإمبراطور العظيم**"، استوقفني آخر الحراس ناظرا إلي بريبة أدخلت الفزع إلى قلبي فاصفر لوني وارتجفت أوصالي وكِدْتُ أنْهارُ من شدة الاضطراب لكنه لاحظ ذلك فأمرني بالجلوس على كرسي قريب وطلب مني نصل حذائي لإخضاعه للتفتيش الدقيق.

ناولته الفِرْدَةَ الأولى ثم الثانية وبقيت أنظر إليه وهو يفحصهما ويقلبهما ويتحسسهما ويهزهزهما وينصت إليهما قبل أن يعيدهما إلي. لكن نظرة الريبة والشك لازمت عينيه حتى بعد دخولي إلى القاعة. فقد تبعني حتى جلست مكاني وهو لا يدري سبب تعقبي.

داخل القاعة، كان "**العظيم**" أكبر مما تصورته من قبل وأكبر مما يتصوره أي واحد خارج القاعة. ربما كان دلك فعلُ "**الإخراج**" وتأثير تأثيث مشهد العرض حيث وُضِعَ العرشُ عالياً بحوالي مترين فوق المنصة العالية بدورها عن الأرض عُلُوّاً مُوَازِيا في قاعة عالية السقف بينما الكراسي المخصصة للشعراء ولباقي الحضور كانت واطئة يمكن بالكاد الانتباه للأرجل الأربعة التي ترفعها عن الأرض...

تقدم أحد الأقزام إلى الجهة اليسرى من المنصة، على يسار عرش "**الإمبراطور العظيم**"، فتبددت كل احتمالات المقارنة بين "**العظيم**" و"**القزم**" الذي بدأ، باسمنا، يتلو خطابا يُلْحِقُ فيه جميع الشعراء بمجتمع "**الأقزام**" الذي جاء يحبو للقاء "**العظيم**" الذي ألهمنا قصائد وأشعارا ما جادت قريحتنا بمثلها من قبل...

مرة أخرى، اقشعر جسدي ومرة أخرى عاودني الشعور بالانتفاخ والانتفاخ والانتفاخ فوجدتني أعلو وأعلو وأعلو حتى تساوى علوي بعلو "**العظيم**" وضاهت قامتي قامة "**العظيم**" وشارف مقامي مقام "**العظيم**"، فانحنيت على فِردة حذائي اليمنى وصوبتها دون خطإ على وجهه ثم انحنيت على فِردتي الثانية واتبعتها بسابقتها. وبينما تجمع حراس الداخل والخارج حولي وتعاونوا على إسقاطي أرضا، كنت، تحت الركل والرفس والضرب والقرص والعض، منشغلا بسحب أحذية إضافية من أرجل الحراس لتصويبها على الهدف الذي لا يمكنني أبدا أن أخطئه...

17 دجنبر 2008

مدينة بوفراح

"الاستبداد أعظم بلاء، يتعجل الله به الانتقام من عباده الخاملين ولا يرفعه عنهم حتى يتوبوا توبة الأنفة..."

عبد الرحمان الكواكبي
"طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"
دار **الشرق العربي**، الطبعة الخامسة، 2003، ص: 29

الحي بأكمله ينتظر اليوم الذي سيفرح فيه "**بُوفرَاحْ**" فيتدافع الكبار والصغار كالفراش ليتحلقوا حول المنزل الذي ستنبعث منه روائع الإيقاعات وتصدح منه أجمل الأصوات وتُبَثُّ منه أحلى الأغاني إلى كل أحياء المدينة فينجذب لها الكبار والصغار من الأحياء الأخرى، المجاورة والنائية، ممتطين دراجاتهم أو مترجلين مسرعين في خطواتهم في سباق مع الباعة المتجولين وهم يدفعون عرباتهم اليدوية نحو بيت الفرح في يوم الفرح لبيع السجائر بالتقسيط والألعاب النارية والحلوى و"**الشامية**" و"**عسولة**" والبالونات الزاهية الألوان...

لا يعرف الباعة المتجولون وقت فرح "**بُوفرَاحْ**"ولا تنفع في الأمر نميمة نمام. لكنهم ينشطون من عقال حين تصل إلى مسامعهم طلائع الإيقاعات السعيدة ولو كانوا في خلوة ليلية مع زيجاتهم فيقفزون من الفراش نحو العربة يرتبون سلعهم فوقها على عجل ويتسابقون نحو عنوان"**بُوفرَاحْ**" فهو الوحيد الذي يمكنه أن يفرح في المدينة التي لا يتزوج فيها أحد ولا يولد فيها أحد ولا ينجح فيها أحد ولا يعود إليها من ديار الغربة أحد من الأحبة الذين يفرح لهم القلب...

ليس ل"**بُوفرَاحْ**" يوم خاص بالفرح كيوم الجمعة أو السبت أو الأحد أو غيرها من الأيام على أجندات الانضباط والتنظيم. ولكنه إذا نقر دفُّهُ، دقت معه ساعة الخروج في المدينة برمتها ودقت ساعة الحج نحو بيته المغلق في وجه الجميع. يوم فرح "**بُوفرَاحْ**" مهرجان ما بعده مهرجان، انتفاضة فرح لا يغيب عنها إلا الموتى...

في الصبيحة الموالية لكل ليلة فرح، يتسابق الناس لمعرفة من هو "**بُوفرَاحْ**". فيصطفون قرب باب البيت، الذي كان في الليلة السابقة قبلة الباحثين عن الرواج والربح ومغناطيسا جاذبا لكل الباحثين عن حمّام سعادة، للظفر بشرف رؤية الرجل الذي يطرب المدينة ويسعدها دون أضواء ودون مطامع ودون حتى أن يظهر للناس الذين يسعدون بسعادته...

يخرج من باب البيت المُحْتَشَدِ حوله رجل وقور بلحية طليقة وبصمة الزهد والتعبد على جبينه وهو يدفع عربة عليها ميزان صدئ وصناديق خشبية فارغة...

بعد فترة، يخرج من الباب أطفال بمحافظ صغيرة متشابكي الأيدي يخطون مسرعين نحو المدرسة...

في الأخير، تخرج من الباب امرأة بسلة فارغة وتقفل الباب الخشبي خلفها بالمفتاح...

يتساءل الفضوليون المحتشدون حول الباب:

- أهذه هي كل العائلة التي تقطن هنا وتطرب المدينة بأكملها؟
- أين صوت الرجل الذي يغني طول الليل؟ إن الرجل الذي خرج أمام أعيننا يبدو زاهد في أمور الدنيا!...
- أين المرأة التي تمول وتغني وتبدع المواويل ليلا؟ إن المرأة التي خرجت أمامنا حذرة ولا وقت لها للاسترخاء والمواويل!...

بجوار بيت "**بُوفْرَاحْ**"، في المدرسة، طلبت المعلمة من التلاميذ في حصة التربية الفنية، رسم حفل "**بُوفْرَاحْ**" وظلت تشرح وتطيل في الشرح، تفصل في التفصيل في تقنيات الرسم والترميد والتلوين لكنها، وهي تتجول بين صفوف التلاميذ، انجذبت لإحدى اللوحات تحت رأس تلميذ مندمج في التلوين غير آبه بجبهته وهي تحتك بكراسته من فرط الانصهار مع موضوع الرسم.

سألته عن الشخوص التي يؤثث بها لوحة فرحه البهيج، فشرع الطفل الفنان يشرح لوحته وهو يسمي شخوصه " **بابا** " و" **ماما** " و"**أختي**"...

سألته:

- من تكون؟

فأجاب:

- "**بُوفْرَاحْ**" هو أبي وبيت "**بُوفْرَاحْ**" هو بيتنا!

فرحت المعلمة ونسيت أنها في القسم وعانقت الطفل بحرارة انتبه لها باقي التلاميذ فصرخ آخر من الطاولة الخلفية:

- وأنا أيضا ابن "**بُوفْرَاحْ**"!

فجرت إليه المعلمة وعانقته قبل أن تصل مسامعها صرخة ثالثة من الصف الثالث على اليمين:

- وأنا بنت "**بُوفْرَاحْ**"!

وصرخ طفل آخر من هنا وآخر من هناك وآخر من هنالك:

- وأنا طفل جاره!
- وأنا ابنة أخيه !
- وأنا من قبيلته!...

كانت المعلمة تعانق تلاميذها طفلة بعد طفلة وطفلا بعد طفل وتقبلهم بحرارة في نفس الوقت الذي كان فيه التلاميذ حولها يعانقون بعضهم البعض ويقبلون

بعضهم بعضا. وفي قلب العناق والتحايا، نما إيقاع خافت وبدأ غناء هامس شرع يكبر ويكبر حتى غدا إيقاعا مسموعا على الطاولات وكورالا جماعيا لتلاميذ لم ينتبهوا حتى لدخول مدير المدرسة إلى القسم.

حاول المدير أن يرسم على وجهه ملامح القسوة لفرض النظام واستعادة هيبة المؤسسة لكن حيلته لم تنجح مع أطفال سعداء عرضوا عليه الرقص معهم مثنى وثلاث ورباع...

في البداية، كان المدير يطلب منهم أن يطلقوا من يده كي يسيطر على الوضع ويعيد النظام للقسم لكنه حين تمكن منه الاندماج والفرح صار المدير يطلب من أطفال القسم أن يطلقوا من يده كي يشد بأطراف جلبابه ويركل الأرض على إيقاع النقر على الطاولات فيفرز عجيزته ويديرها مغمض العينين سعيد السحنات حتى إذا ما فتح عينيه كان معلمو ومعلمات الأقسام الأخرى قد داهموا القسم بتلاميذهم منجذبين لسحر الإيقاع مختلطين بهياج الهائجين وفرح الفرحين. ولأن أرض القسم ضاقت بالحشود، فقد صعد الصغار للرقص على الطاولات بينما خلت أرضية القسم للمعلمات والمعلمين والمدير وطباخي المطعم وحراس المدرسة...

في الخارج كانت التجارة رائجة والحركة دائبة والجموع غفيرة والبالونات الزاهية تحلق في الأجواء والألعاب النارية تزين السماء والناس ترقص وتتراقص فرادى وزمرا. وحين فُتِحَ بابُ القسم لخروج التلاميذ، شبت سعادة إضافية بينهم وكان آباء وأولياء التلاميذ الذي ألفوا مرافقة أطفالهم خلال العودة إلى البيت، مضطرين لحمل أطفالهم على أكتافهم وسط الزحام والهياج والدفع والتدافع...

على رصيف المدرسة، كان المدير، تحت تأثير اللحظة يحمل ميكروفونا وهو يخطب أمام جمع لم يجتمع حول المدرسة منذ اخترعت الكتابة قبل آلاف السنين. فوجد نفسه يخاطب الآباء والأمهات والتلاميذ وشركاء المدرسة بنغمة لم يعهدها في صوته:

"أيها الأحبة، إنه ليوم عظيم لم أشهده في حياتي. ولتخليد هذه الذكرى العظيمة في نفوسنا جميعا سأعمل ما في جهدي لتغيير اسم هذه المدرسة من "**مدرسة الحجاج بن يوسف الثقفي**" إلى مدرسة "**بُوفرَاحْ**" وسنستحضر هذا اليوم الجميل بكامل تفاصيله كلما نطقنا بالاسم الجديد لهذه المدرسة. ولتكن حياتنا كلها أفراح في أفراح"...

في الغد، كانت لوحة جديدة مذهبة قد علقت على مدخل المدرسة كتب عليها: "**مدرسة بُوفرَاحْ**".

وفي اليوم الموالي، استُبْدِلَ الاسمُ القديمُ للشارع الرئيسي للمدينة ب "**شارع بُوفرَاحْ**". وفي الأسبوع الثالث، افتتحت السينما الجديدة بالمدينة وأطلق عليها اسم "**سينما بُوفرَاحْ**". وفي الشهر الموالي، غير اسم المحطة الطرقية لتصبح "**محطة بُوفرَاحْ**". وتقدم سكان الحي لتغيير اسم حيهم ليصبح "**حي بُوفرَاحْ**"، وتسابق التجار والمقاولون على المصالح البلدية لتغيير أسماء مقاولاتهم ومشاريعهم فكانت "**ملبنات بُوفرَاحْ**" و"**مطاعم بُوفرَاحْ**" و"**مقاهي بُوفرَاحْ**" و"**مخابز بُوفرَاحْ**" و"**معاصر زيتون بُوفرَاحْ**" و"**مصابن بُوفرَاحْ**"...

وفي عز هذا الهياج، شاعت الرغبة في معرفة من هو "**بوفراح**" الذي قلب أسفل المدينة على أعلاها. لكن الأمر انتهى إلى حقيقة مُحَيِّرَة.

"**بُوفْرَاحْ**" اسم رجل من دوار "**الفْرَيْجِيِينْ**" واسمه الكامل "**بُوفْرَاحْ الفْرَيْجِي**" وهو بائع خضر متجول يقيم حفلا عائليا خاصا في بيته عندما لا يبيع شيئا خلال النهار. وليعوض البؤس ويسلي صغاره في البيت ويحافظ على معنوياتهم، كان يقيم سهرة عائلية لا تنتهي إلا بنوم سعيد لكل أطفاله. وقد انتبه الأطفال خلسة لمصدر سعادتهم فصار مطلبهم السري هو ألا يبيع والدهم شيئا خلال النهار كي يرقصوا طيلة الليل في الوقت الذي كان فيه "**بُوفْرَاحْ**" يعتقد أن الدافع للحفل سري للغاية.

احتار الناس...

إن الرجل الذي يسعد الجميع هو رجل لا يجد حتى ما يسد به رمقه ورمق صغاره!...

شبت الحيرة بين أزقة المدينة وألهبت الألسن والأفئدة وبدأ التفكير في الخروج في تظاهرة من أقصى المدينة إلى أقصاها مطالبين فيها بأن يكون "**بُوفْرَاحْ**" الذي يدخل السعادة لقلوب الناس رئيسا لعموم الشعب.

خرجت الجموع الغفيرة في مسيرة عفوية مطالبة بتغيير اسم المدينة من "**مدينة الحجاج بن يوسف الثقفي**" إلى "**مدينة بُوفْرَاحْ**" وتغيير اسم البلد من "**جمهورية الحجاج بن يوسف الثقفي**" إلى "**جمهورية بُوفْرَاحْ**" وليكن "**بُوفْرَاحْ**" أول رؤسائها.

انتهت المسيرة العفوية بالوقوف الجماهيري الغفير الصاخب عند باب المجلس البلدي بالمدينة.

خرج إليهم رئيس المجلس عارضا استعداده للحوار لكنه لقي صرخة جماعية موحدة:

- نريد "**بُوفْرَاحْ**" رئيسا للبلاد!...

فاستدار الرئيس جهة أحد مرافقيه وسأله بصوت مسموع:

- من هو "**بُوفْرَاحْ**"؟

فهاجت الجموع الغفيرة:

- إنه لا يعرف حتى "**بُوفْرَاحْ**"؟!...

فزعق صوت منفرد من بين الجموع:

- أي حوار يمكننا فتحه معكم وأنتم لا تعرفون حتى "**بُوفْرَاحْ**"؟!...

صرخت الجموع صرخة رجل واحد:

- نريد "**بُوفْرَاحْ**" رئيسا للبلاد!...

فأجابهم صوت الرئيس من عل:

- ولكن رئيس البلاد يتم اختياره من خلال صناديق الاقتراع!

فزأرت الجموع زئير أسد واحد:
- خذوا صناديقكم واختاروا بعضكم بعضا. أما نحن، فقد قررنا أن يصير "**بُوفرَاحْ**" رئيسا لنا. فالسعادة التي يدخلها إلى قلوبنا وحياتنا تضيق بها صناديقكم ويضيق بها اقتراعكم. نحن نريد "**بُوفرَاحْ**" رئيسا للبلاد!

عاد الصوت الذي لم يعد عاليا هده المرة ليطمئن الجموع الجادة في مطلبها، قائلا:
- حسنا، سنرسل مطلبكم للجهات المعنية لدراسته وسنرد عليكم بعد أيام معدودة.

هللت الجماهير بفرح وصل دبيبه أوصال الرئيس ذاته، وزغردت النساء احتفاء بأول إجماع حصل في حياة سكان المدينة وبتحقق أول مطلب في تاريخ البلد، فانطلقوا مهللين:
- عاش "**بُوفرَاحْ**"!
- عاش!...
- عاش "**بُوفرَاحْ**"!
- عاش!...

فوق الحشود الغفيرة المتدفقة نحو شوارع المدينة الرئيسية، كان رجل ملتح ببصمة الزهد على جبينه محمولا على الأكتاف وهو يرسم بسبابته ووسطاه علامة النصر للجماهير التي تردد بانتصار:
- عاش "**بُوفرَاحْ**"!
- عاش!...
- عاش "**بُوفرَاحْ**"!
- عاش!...

بتاريخ: 12 مارس 2008

الفهرس



طوب بريس

العنوان، رقم 22، زنقة كلكونة، المحيط، الرباط
الهاتف، 21 31 73 37 05 (212+) - الفاكس ، 28 39 26 37 05 (212+)
الموقع الإلكتروني، www.toppress.ma
البريد الإلكتروني، toppress2@gmail.com

إصدارات محمد سعيد الريحاني 2001-2012

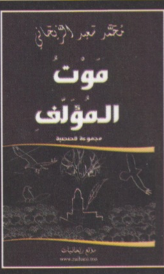










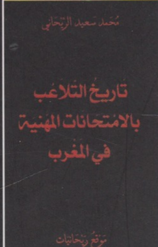


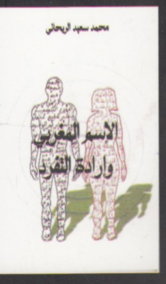












الثمن: 20 درهما